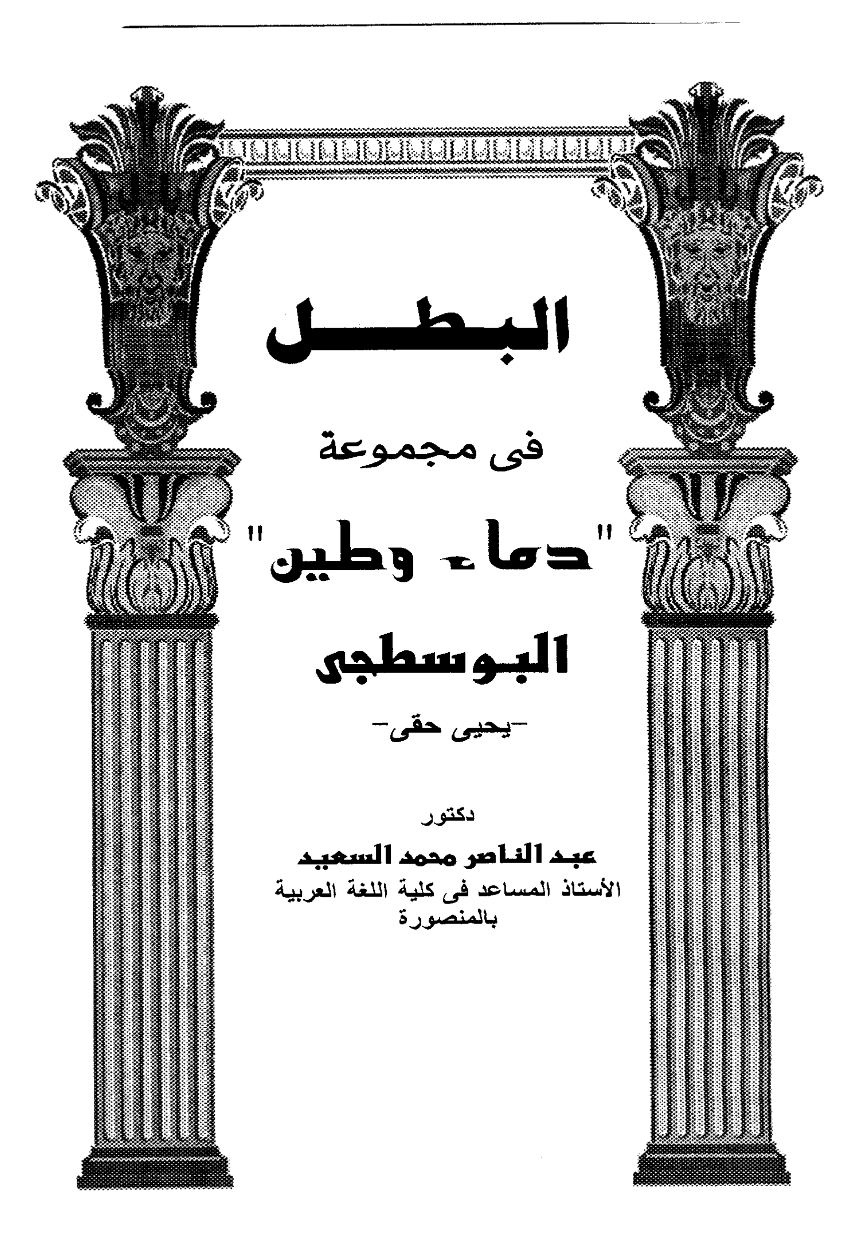


البطـــل

فى مجموعة

"دماء وطين"

البوسطجى

-يحيى حقى-

دكتور

عبد الناصر محمد السعيد

الأستاذ المساعد فى كلية اللغة العربية

بالمنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا

صدق الله العظيم

المقدمـــة

عرف الأديب الكبير يحيى حقى من خلال "قنديـــل أم هاشــم" وذلك لمعالجتها بصورة ما "الصراع بيـــن العلــم والديــن" أو لنقــل بأسلوب أدق "الصراع بين العلم والتقاليد الموروثــــة ، التـــى ربمـــا اعتبرها العامة ديناً وهى لا تمت للدين بصلة. وقد ثار يحيــــى حقـــى على التقاليد الموروثة ، بعد أن رجع بعلمه من أوربا ، وحطم قنديـــل أم هاشم وكان المرضى يعالجون عيونهم بزيته ، ويهتف البطل فـــى النهاية "لا علم بلا إيمان".

واعتمد على الله مع علمه فنجح فى حياتــه ، وكـــانت هـــذه القصة ، ومثيلتها "عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم ، التفاتة مـــن المؤلفين الشرق وقيمه ، فى وقت دار فيه الصــــراع بيـــن الشـــرق والغرب ، فلاقى هذا القصص رواجاً أيما رواج.

ومع ذلك ، فما من مرّة قرأت فيها مجموعة (دمـــاء وطيـــن) وخاصة قصة (البوسطجى) إلا وأحسست أنها قصيدة الشـــاعر كمـــا يقولون ، أو بيت القصيد ، أو كما يقول يحيى حقى : بيضة الديك.

وقد أعادت الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة هذه المجموعة القصصية "دماء وطين" ، فعاودنى الحنين إلى قراءتها ، وقد لاحظت توزيع دور البطولة على جميع الشخصيات ، واهتمام المؤلف بكل الشخصيات فى القصة ، فأنت تقرأ القصة وتحار ، أين الشخصية الرئيسية فى القصة؟ هل أراد المؤلف مثلاً فى قصة "البوسطجى" أن يرسم صورة للموظف فى الصعيد ، وما يعانيه من وحدة وغربة؟. هل أراد أن يرسم صورة للفتاة فى الصعيد ، والزواج والعِرضْ والقتل والشرف وغير ذلك من القضايا الاجتماعية؟

إن القارئ ليحار من اهتمام المؤلف بالشخصيات ورسمها بكل دقة ، حتى وإن كانت الشخصية تؤدى دوراً ثانوياً.

وما يقال فى قصة "البوسطجى" يقال فى "أبو فودة" ويقال فى "قصة فى سجن". لذلك انصب الاهتمام وتوجهت الدراسة إلى قصة "البوسطجى" فهى دون أختيها يعدها النقاد قصة ، لوجود الشخصيات ونموها وتعددها. وأما "أبو فودة" ، و "قصة فى سجن" فيطلقون عليها "أقصوصة".

وانصب الاهتمام على "البوسطجي" أيضاً ، لأنها تقف جنباً إلى جنب مع "قنديل أم هاشم" فإذا كانت "القنديل" تشكل علامة بارزة فى الاتجاه الرمزى ، فإن "البوسطجى" تشكل علامة بارزة فى الاتجاه الواقعى.

وانصب الاهتمام على البوسطجى لاعتزاز مؤلفها بها وقوله "ولعلى فى قصة "البوسطجى" مجموعة دماء وطين كنت أول من استخدم "الفلاش باك" أى البدء بالأحداث المتأخرة فى القصة.

وانصب اهتمامى على "البوسطجى" لتمثيلها فيلماً تحدث عنه النقاد وقتها و لم تلق القصة ذاتها اهتماماً من النقاد.

وأخيراً انصب الاهتمام على البوسطجى لأنها تصور الإنسان فى صراع ضد مصيره المحتوم.

ونسأل الله التوفيق والسداد

اللهم آمين

دكتور/ **عبد الناصر محمد السعيد**

المنصورة فى غرة محرم سنة ١٤٢٠هـ

- يحيى حقى

- احتفت مجلة الثقافة بعيد يحيى حقى السبعين – وقد ولد فى ٧ يناير سنة ١٩٠٥م[١]. فخصصت العدد (١٦) يناير سنة ١٩٧٥م للاحتفاء بهذه المناسبة ، كما صدر كتاب "سبعون شمعة فى حياة يحيى حقى" ، وهو عبارة عن دراسات عن يحيى حقى لعديد من الكتاب جمعها وقدم لها يوسف الشارونى وذلك سنة ١٩٧٥م.

- وقد تركت مجلة الثقافة مساحة فى بداية العدد ، يتحدث فيها الأديب عن نفسه ، وأهم ما يميز حديث يحيى حقى عن نفسه هو الصدق والبساطة والتواضع.

- يقول عن نفسه ومولده (كنت أنا الابن الثالث بين أخوتى ، ولدت فى ٧ يناير سنة ١٩٠٥م بحارة الميضة وراء مقام السيدة زينب فى بيت ضئيل من أملاك وزارة الأوقاف – ورغم اننا غادرنا حى السيدة وأنا لا أزال طفلاً صغيراً ، فهيهات أن أنسى

---

[١] توفى يحيى حقى سنة ١٩٩٢م.

تأثيره على حياتى وتكوينى النفسى والفنى ، فمازلت أعيش إلى اليوم مع الست ما شاء الله بائعة الطعمية ، والأسطى حسن حلاق الحـــى ، وبائع الدقة .. ومع جموع الشحاذين والدراويش الملتفين حول مقـــام الست.

- نشأ يحيى حقى فى بيئة تعشـــق القـــراءة (.. وكـــان عمى محمود طاهر على صلة وثيقة بشوقى ، وعن طريقه أتيح لـــــى الجلوس إلى شوقى عدة مرات سواء فى محل "صولت" الحلوانـــــى أو فى بيته. وفى إحدى تلك المرات أعطانى قصته "أميرة الأندلس" وهـــى مخطوطة ، أبدى فيها رأيى ، وكنت لا أزال شاباً فى السادسة عشـــرة ، ومع ذلك فقد تجرأت ونقدتها بشىء من العنف ، وكان ذلك غـــروراً منى ندمت عليه فيما بعد).

- بدأ تعليمه فى كتاب السيدة زينب ، ثم التحق بمدرسة والدة عباس ، وكانت مدرسة مجانية يلتحق بـــــها أبنـــاء الفقـــراء ، حصل على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية ســـــنة ١٩١٧م والتحـــق بالمدرسة الإلهامية الثانوية ومنها حصل على شهادة الكفـــاءة ، ثـــم انتقل إلى المدرسة السعيدية فالخديوية ، ومنها حصل على البكالوريـا

سنة ١٩١٢ وكان ترتيبه الخمسين بين المتقدمين لتلك الشهادة ، ثم التحق بمدرسة الحقوق وتخرج منها وجاء ترتيبه الرابع عشر في الليسانس.

- في أول يناير سنة ١٩٢٧م تسلم عمله معاوناً للإدارة بمركز منفلوط ، وقضى أخصب سنتين من حياته في الصعيد تعرف فيهما على حياة الفلاحين عن قرب. وسجل ذلك في أدبه على مستويين:- المستوى الوصفي في "خليها على الله". والمستوى الثاني : التصوير القصصي في مجموعة "دماء وطين".

- عين أميناً لمحفوظات القنصلية المصرية في جدة ما بين عامي ١٩٢٩ ، ١٩٣٠م ، ثم نقل من جدة إلى استانبول سنة ١٩٣٠م وقضى هناك أربع سنوات ، ثم نقل إلى روما ، واتصل بالحضارة الأوروبية وآدابها.

- كتب "قنديل أم هاشم" ، و"دماء وطين" ، و "أم العواجز" ، و "عنتر وجولييت" وكتب من الروايات "صح النوم ، وسجل يومياته في "خليها على الله".

وكتب دراسات نقدية عديدة منها "خطوات فى النقد" ، "فجـــر القصة المصرية" و "أنشودة البساطة".

وهو يتحدث عن نفسه بكل تواضع فيقول "هل يهمك أن تعلــم بعد ذلك أنى نلت جائزة الدولة التقديرية فى الآداب ســـنة ١٩٦٩م ، وأنى تشرفت بعضوية المجلــس الأعلـــى لرعايـــة الآداب والفنـــون والعلوم الاجتماعية؟[١]

وبعد أن يتحدث يحيى حقى عن حياته ومؤلفاتـــه وجـــهوده ، ينهى مقاله بتواضعه المعهود فيقول (يا أخى – هاأنذا قد فتحت لـــك قلبى ، وقدمت لك ما قدرنى الله عليه من سيرتى وآرائى ، أيـــا كـــان حكمك عليه فسأتشفع عندك بمثل فرنسى معروف يقـــول : إن أجمـــل امرأة لا تستطيع أن تمنح إلا ما عندها لا أكثر)[٢].

البطل فى القصة الحديثة

تعتمد القصة الحديثة فى بنائها على عناصر كثيرة ، من أهـــم هذه العناصر : الشخصيات "فالشخصية هى الكائن الإنســـانى الـــذى

---

(١) مجلة الثقافة يناير سنة ١٩٧٥ ص ١٤.

(٢) مجلة الثقافة يناير سنة ١٩٧٥ ، ص ٣٦.

يتحرك فى سياق الأحداث"[1] وقد تكون الشخصية فى القصة رئيسية ، وهى شخصية نامية ومتطورة وتقوم بدور البطولة ، وتشكل المحور الرئيسى فى حبكة الرواية ، وقد تكون شخصية ثانوية ، أو هامشية ، لها دور ثانوى فى تطور الأحداث ونموها. وقد تعطى الأهمية فى القصة للحدث ، فيلعب الدور المهم والفعال فى القصة[2].

وإذن فماذا نعنى بالبطل فى القصة؟ ماذا نعنى بالشخصية الرئيسية ، هل هى الشخصية النامية المتطورة المؤثرة فى الأحداث إيجاباً أو سلباً؟ وتشكل محور القصة؟ هذا هو ما قال به الدكتور طه وادى : البطل يشغل مساحة واسعة فى بنية النص ، ويقوم بأداء دور كبير فى تحريك الحدث الروائى ، وتنمية الحبكة وتشكيل الصراع[3]. وعلى ضوء هذا المفهوم للبطل يشير إلى وجود نموذجين للبطل : البطل الخير ، والبطل الشرير. وقد يكون البطل الخير إيجابياً يحاول أن يتصدى لما يواجهه من صعوبات ومظالم من أجل تحقيق عاطفة سامية وهدف نبيل ، وقد ينجح فى مسعاه أو يفشل ، المهم أن يعمل

---

(1) القصة والرواية : د. عزيزة مريدن ص٢٧. دار الفكر

(2) انظر مجلة "المنهل" ديسمبر سنة ١٩٩٧م يناير سنة ١٩٩م ص٤٥ من مقال تحت عنوان "شخصية البطل فى الرواية العربية" د. طه وادى.

(3) الرواية السياسية : د. طه وادى ص٢٠ القاهرة سنة ١٩٩٦م.

ويتحرك ويتفاعل. وقد يكون هذا البطل الإيجابى من النوع العاجز المغترب ، يملك كثيراً من الوعى والفهم ، ويدرك سر آلامه ومصدر متاعبه ، لكنه يعجز عن اتخاذ خطوات إيجابية لدفع الظلم ورفع الشر ، فهو إنسان يملك الرؤية ، لكنه يفقد القدرة ، لذلك يتحول إلى بطل مغترب يشعر بالغربة والوحدة. ومعظم أبطال الروايات العربية قريبون بدرجة أو بأخرى من هذا النموذج المغترب المأزوم المهمش[1].

ويربط بعض النقاد بين البطل وبين المذاهب الأدبية ، ومن هنا فالمثقف فى القرن التاسع عشر كان ينظر إلى بطولة الفرد الذى يرفع رأسه شامخاً فى وجه المجتمع على أنها قيمة إنسانية عليا ، فضلاً عن أنه كان يرى فى طبقته التى ينتمى إليها ، وكذلك فى مجتمعه عائقاً يحول دون تأكيد فرديته وتحقيق وجوده ، أما المثقف المعاصر فإنه لا يتفق مع نظرة سلفه إلى فكرة البطولة ، فقد تلاشت من ذهنه تماماً. والنقاد يجمعون على أن الرواية تصور بطلاً من نوع جديد ، بطلاً ليس فيه من البطولة سوى اسمها. فالبطل فى

[1] المنهل ديسمبر سنة ١٩٩٧م يناير سنة ١٩٩٨م ص٤٦.

الرواية المعاصرة لا ينفرد بتلك الفضائل التى كان أبطال التاسع عشر ومطلع القرن العشرين يتحلون بها"[١].

ومن هنا فقد تطور مفهوم البطل وبعد أن كان من المـــألوف فى الرواية الكلاسيكية أن يقوم شخص من أشخاصها بدور البطولـة ، فيركز الروائى اهتمامه على تصوير أبعاد شخصية البطـل ، وتكـون هى محور الرواية والرابطة بين مختلف شخوصها ، لم يعـد يتمتـع بفضائل ينفرد بها دون جميع الناس[٢].

وممن ربطوا بين البطل وبين المذاهب الأدبية أيضاً د/ محمـد زغلول سلام عندما قال "ومنذ حركة ألرومانتيكية ظهرت أهمية البطـل أو الشخصية فى القصص وغلبت غيرها من عناصرها ... ولذلك نجد أكثر قصص شخصيات خلدت بأبطالها"[٣].

---

[١] انظر : البطل المعاصر فى الرواية المصرية. د. أحمـد إبراهيم الـهوارى ص٤٢.
وانظر : البطل فى الأدب والأسـاطير. د. شـكرى محمـد عيـاد ص١٤٩.دار المعارف الطبعة الأولى القاهرة سنة ١٩٥٩م.
[٢] البطل المعاصر ص٤٤.
[٣] دراسات فى القصة العربية الحديثة. د. محمد زغلول سـلام ص١٦ مطبعـة الكاتب المصرى.

ومممن قالوا بأثر الشخصية وسيطرتها على بقية الشـــخصيات ، الدكتور يوسف نجم "والقارئ يلمس أثر سيادة الشـــخصية بصـــور مختلفة ، فكثيراً ما تكون الشخصية هى العنصر الأهم فـــى القصــــة ، وبهذا تكون المحور الذى تدور حوله ، وكل ما يدور فى القصة مــــن أحداث لابد أن يمسها من قريب أو بعيد"[1].

وقد يحدث فى القصة أن تكون البطولة والسيادة للشخصيات جميعها بالتساوى وقد سجل ذلك د. الهوارى بقوله "وعســـير علـــى المتأمل فى هذه الرواية أن يعثر على شخصية فردية تكـــون محـــور الأحداث ، فليس لهذه الرواية بطـــل معيـــن أو شـــخصية محوريـــة تستقطب حولها الشخصيات الأخرى والأحداث ، ولا ينتظمـــها ســـلك واحد ، ولا يثيرها عمل خاص تشترك فى تأديتـــها جميـــع العنـــاصر الأخرى فى الرواية ، وشخصياتها لا تعتبر جزءاً من الخطـــة العامـــة التى يحول المؤلف خيوطها ، فكل شخصية مستقلة بذاتـــها ، وهـــى تسيطر على الحوادث فتحركها طبعـــاً لرغباتـــها ووفقـــاً لحركاتـــها

(١) فن القصة. د. يوسف نجم ص٢٠.

وخططها. وهذا يعنى أن السيادة فيها تكون للشخصيات وليس لبطل فرد"[1].

- ويربط الدكتور يوسف نوفل بين البطل وبين عصره "فالبطل صورة لعصره"[2] ويقدم صوراً للبطل منها :

(١) البطل الإيجابى. (٢) البطل السلبى. ويذكر نموذجين للبطل السلبى : البطل غير المبالى ، والبطل المضاد. (٣) البطل الفاشل. (٤) البطل المتهور.

ومن هنا نرى صوراً عديدة لمفهوم البطل وعلى ضوء هذه المفاهيم نروح نجوس خلال القصة لنرى البطل أو الشخصيات ومدى انتمائها إلى فكرة البطل المسيطر أو البطل المتلاشى ، أو الشخصيات المتساوية.

- **تعدد الأبطال فى القصة القصيرة :-**

المجموعة التى معنا من القصص القصيرة ، فهل تتحمل القصة القصيرة أكثر من بطل؟

---

(١) البطل المعاصر ص١١١.

(٢) الفن القصصى بين جيلى طه حسين ونجيب محفوظ ص٢٩٤ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٨م.

وهل تحتمل مساحة القص تعدد الأبطال ، بما يدور بينهم من صراع وتنافر؟

يشير الأستاذ الدكتور محمد العزب ، إلى ما تعورف عليه من أن القصة القصيرة لا تحتمل تعدد الأبطال (ومعروف أن (بطل) القصة القصيرة واحد ، لأن مساحتها لا تحتمل أكثر من بطولة واحدة. ولكن توحيد البطولة فى القصة القصيرة قد لا يعنى أن يظل واحداً ، فقد تتعدد الشخصيات فى القصة القصيرة ، كما قد تتعدد البطولة فيها ، إذا كانت جميعها تصب فى مجرى واحد ، لأنها من هذه الوضعية تستطيع أن ترى الحدث من زوايا متعددة. بل قد تضئ البطل المحدد من وجهات متعددة ، وبذلك يغنى القصص ولا تشتت فيه قدرته على التكثيف)[١].

مجموعة دماء وطين

- **تعريف بها :-**

تتكون هذه المجموعة من ثلاث قصص ، نشرت الأولى "قصة فى سجن" فى المجلة الجديدة فى أول مايو سنة ١٩٣١م ، ونشرت

---

[١] أصول الأنواع الأدبية : د/ محمد أحمد العزب ص٢٥٣.

الثانية "أبو فودة" فى جريدة السياسة الأسبوعية ملحق العدد ٣٠٢٧ ص١٤ فى الثالث من فبراير سنة ١٩٣٢م ، ثم ظهرت القصة الثالثة "البوسطجى" فى عدد نوفمبر المجلة الجديدة سنة ١٩٣٤م.

وإذا كان هذا هو الترتيب الزمنى لنشر هذه القصائد ، فقد رتبها يحيى حقى "ترتيباً فنياً آخر طبقاً لأهميتها الفنية"[١] ومن هنا فقد بدأ المجموعة بقصة "البوسطجى" ثم "قصة فى سجن" ثم "أبو فودة". هل هذا يعد اعترافاً من المؤلف بأهمية قصة البوسطجى؟

وقد كان أمامه فى ذلك الوقت وهو يختار قصص هذه المجموعة ويعدها للنشر ، ما يقرب من عشرين قصة ، اختار منها ثلاث قصص ونشرها فى مجموعة "دماء وطين"[٢].

---

[١] مجلة الثقافة : يناير سنة ١٩٧٥م العدد ١٦. مقال : يحيى حقى بين كوم النحل ومصر الجديدة ، للدكتور حمدى السكوت ص٧٣.

[٢] يشير الدكتور محمد زغلول سلام إلى أن الدماء هى دماء شهداء الغرام أو شهداء الحب فى أعماق الصعيد الذى لا يعترف بهذه العلاقة ، بل يعتبرها آثمة عقابها الموت. والطين هو طين الأرض الطيبة التى يرتبط بها الفلاحون ويعيشون معه وعليه. دراسات فى القصة العربية الحديثة ص٣٥٣ مطبعة الكاتب المصرى . وقد استخدم يحيى حقى هذا التعبير عن الأرض بالطين فى قصة البوسطجى فى قوله "لأن أمه لم تبع الطين" ص٦٢ من البوسطجى ، والدماء هى الأعراض وذلك فى قوله "موشجة بحكم الدم والجسم" ص٦٥ من دماء وطين.

وقد نشرت هذه المجموعة "دماء وطين" عام ١٩٥٥م. وقد أعيد نشرها عام ١٩٧٩م مزودة بثلاث قصص أخرى كتبها المؤلف فى العشرينات فى إطار مؤلفات يحيى حقى التى أصدرتها الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة. وهى "حياة لص" التى نشرت فى جريدة السياسة ١٩٢٦/١٢/١٠م ٣٣ ، و"قهوة ديمترى" فى جريدة السياسة ١٩٢٦/١٢/٢٢ ص٣[1] و "من المجنون" فى جريدة السياسة فى ١٩٢٧/١/١٤م. وقد أعادت الهيئة إصدار هذه المجموعة سنة ١٩٧٧م ضمن مهرجان القراءة للجميع.

- **القصة الأولي "البوسطجى"**

- **أهمية القصة :-**

لقد ارتبط اسم يحيى حقى بقصته "قنديل أم هاشم" فى ذهن القراء ارتباطاً كبيراً ، أشار إليه يحيى حقى عندما قال "إن اسمى لا يكاد يذكر إلا يذكر معه "قنديل أم هاشم" كأنى لم أكتب غيرها ، وكنت

---

(١) أشار يحيى حقى فى مجلة الثقافة : يناير سنة ١٩٧٥ إلى أن أول قصة نشرها فى جريدة السياسة هى "قهوة ديمترى".

أحيانا أضيق بذلك"[1]. وعندما سأله الأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله: هل تذكر الإرهاصات التى سبقت مولد قصتك "قنديل أم هاشم" ، أجاب : لماذا "قنديل أم هاشم" أفندم كل الذين يتحدثون عنى لا يذكرون إلا "قنديل أم هاشم" ألست ترى أن لى مؤلفات غيرها يا عبد الحليم؟ .. ومع ذلك فأنا أضيق ضيقا شديدا كلما قال لى إنسان "قنديل أم هاشم" كأنى لم أكتب سواها فهل هى بيضة الديك؟[2]. والحقيقة أنه كتب غيرها أقوى منها فنيا وهى "البوسطجى" ومن هؤلاء الذين أشاروا إلى ذلك الدكتور حمدى السكوت مقارنا بينها وبين "قنديل أم هاشم" وذلك فى قوله "ولما قرأت "قنديل أم هاشم" لم تبهرنى كما بهرت غيرى ، لا لأنها لم تعجبنى ، بل لأنى كنت قرأت الكثير مما أخرجه يحيى حقى للناس ... يتملكنى العجب وأنا ألاحظ أن هذه القصة – يقصد البوسطجى – لم تلق من عناية النقاد ربع ما لقيته أختها "قنديل أم هاشم" فعلى حين حظيت "القنديل" بنحو عشرين مقالا ، فإن "البوسطجى" لم تحظ إلا بتعليق لناشرها "سلامة موسى" صدر معها فى نوفمبر سنة ١٩٣٤م ولم يتيسر لى الاطلاع عليه. ثم سكت

---

(١) مجلة الثقافة : يناير سنة ١٩٧٥م ص١٣.

(٢) لقاء بين جيلين : محمد عبد الحليم عبد الله ص١٣٢.

النقاد بعد ذلك – مندور وطه حسين وزكـــى مبــارك وســيد قطــب وغيرهم من نقاد تلك الفترة – إلى أن أخذت القصة للسينما ، فكتـــب حولها عدة مقالات تعد على أصابع اليد الواحدة ، كان معظمـــها – إن لم أقل كلها – نقداً فنياً للفيلم ، يتناول الإخراج والتصوير والتمثيـــل الخ ، مع أن البوسطجي – فى رأيى – تفضل "قنديل أم هاشم" – مـــن جوانب كثيرة ، لا أريد أن أدخل فى تفاصيلـــها هنـــا. وإنمـــا اكتفـــى بالقول: بأنه إذا كانت "القنديل" تسندها فكرة كبيرة تتســـم بالشـــمول وتعنى الكثير بالنسبة لموقفنا الحضارى بعامـــة ، فـــإن البوســـطجى تعرض فى صدق ونضج وشاعرية أزمة إنسان مصرى بســـيط مـــن خلال بناء أكثر إحكاماً ، وبأسلوب أكثر درامية وبمنطق أشد إقناعـــاً ، وفى نسج أشد تلاحماً وتركيزاً مما نجده فى "القنديل"[١].

ويحيى حقى يشير فى اعتزاز لمحاولته العثور علـــى أشـــكال فنية جديدة ، إلى قصة "البوســـطجى" فيقـــول "ولعلـــى فـــى قصـــة

---

[١] مجلة الثقافة يناير سنة ١٩٧٥م ص٧٥. وبالمناسبة فقد خصصت مجلة الثقافـــة هذا العدد "يناير ٧٥" للاحتفاء بالأديب يحيى حقى بمناسبة بلوغه السبعين.

"البوسطجى" مجموعة "دماء وطين" كنت أول من استخدم (الفلاش باك) أى البدء بالأحداث المتأخرة فى القصة ..."[1].

- وقصة "البوسطجى" تنطوى على قصتين فى داخل القصة :

القصة الأولى لشاب قاهرى تعود على حياة المدينة وصخبها ، وجاء إلى الصعيد بانغلاقه وتكتمه وضاع هذا الشاب فى الصعيد.

والقصة الثانية لفتاة خرجت من قريتها الملتزمة إلى المدينة المتحررة نوعا ما ، وكانت النتيجة هى السقوط والضياع أيضا. ترى ماذا يريد أن يقول الكاتب؟

- **واقعية القصة :-**

تعتمد قصة "البوسطجى" على حادثة واقعية ، شهدها وعايش أحداثها يحيى حقى أثناء عمله بالصعيد ، وقد تسلم عمله فى أول يناير سنة ١٩٢٧م معاونا للإدارة بمركز منفلوط ، حيث قضى أهم سنتين فى حياته كما يقول : وقد سجلت تلك المرحلة على مستويين: المستوى الوصفى فى "خليها على الله" وجعلت محورها تأمل أسباب

[1] مجلة الثقافة يناير ٧٥ ص١٥.

تلك الهوة التى تفصل بين الحكومة والفلاحين .. وقد دهشت أشد الدهشة وأنا أكتبها بعد مرور ثلاثين سنة على التجربة ، ودون أن تكون لدى آية مخطوطات أو مذكرات ، ومع ذلك وجدتنى لا أزال أعيش بكل وجدانى فى منفلوط سنة ١٩٢٧م وسنة ١٩٢٨م.

أما المستوى الثانى فهو التصوير القصصى فى مجموعة "دماء وطين" وهى عبارة عن صعيديات تدور فى منفلوط. والحادثة برمتها قد سجلها يحيى حقى فى "خليها على الله"[1] وهى حادثة قتل وقعت فى قرية مجاورة لمنفلوط دفاعا عن العرض ، وقد تولى يحيى حقى التحقيق فى هذه الجريمة خلال عمله كمعاون إدارة بمنفلوط. يقول "ذهبت معه (مع طبيب المركز) فى جناية لا تزال ذكراها تحز فى نفسى. فتاة بكر حملت من قبل أن تنتقل الخطبة إلى زواج ، أخرته شكليات ومناقشات تافهة بين الأسرتين ، ولربما صادف التأخير هوى فى نفس الخطيب الجبان بعد أن نال غرضه. ولعله أصبح يعيب عليها فى سره أنها رضخت له ، فلما انفضح أمرها

---

[1] خليها على الله : يحيى حقى ص١٦٩ – ١٧٠. دار الكاتب العربى للطباعة والنشر.
وانظر : يحيى حقى وجيل الحنين الحضارى ص١٣٧.

حبسها أبوها فى حجرتها انتظارا لعودة ابنه من سفر لـــه ، عاشــت أياما وليالى وهى تعلم أنها محكوم عليها بالإعدام إن انهارت لهلعــها من الموت فإنها أشد انهيارا لتحطيم بنيان فى قلبها أقيم على أن بيـن الأب وابنته محبة (...)[1]. وعاد الأخ ، سمعت بأذنيها أباهـــا يقــول لأمها أن تذهب لقضاء الليلة عند أختها ، وخرجت الأم وهـــى تقــول لابنتها من وراء الباب "لك رب يا بنتى".

ومضى الأب فى الصباح إلى العمدة ، وأبلغه أنه قتل وحــــده ابنته دفاعا عن العرض ، فقدم نفسه ليفدى ابنه حتى يبقـــى عــائلا للأسرة بعد ذهابه إلى السجن. دخلنا منزلا فقيرا من منازل الفلاحيــن له حوش سماوى ، وسلم بالطوب الأحمر يصعد إلى الدور العلـــوى. أمر الطبيب أمامى بإنزال جثة الفتاة ثم صرخ :- هـــاتوا لـــى دكــة فجاءوا له بدكة ، لعلها الوحيدة عندهم ، لا جلوس لهم إلا عليـــها ، ووضع الجثة فوق الدكة تحت حنية السلم. من فوقنا نســـوة – مــن بينهم أمها – تطل علينا تصرخ وتولـــول ، ومــن حوالينـــا صبيـــان

---

(١) نقل الدكتور حمدى السكوت هذا النص من "خليها على الله" ووضع هذه النقــط إشارة إلى وجود كلمات غير واضحة فى الأصل ، وقد نقلها عنه : ناجى نجيـــب فى كتابه "يحيى حقى وجيل الحنين الحضارى" ص١٣٢.

ندافعهم كالذباب ، من وراء بـــاب البيــت مئـــات مـــن المتطلعيـــن المتطفلين، تمد أعناقها وأبصارها فوق الأكتاف ، ومن بين الـــرءوس ... عريت الجثة أمام الجميع ... وأخرج حلاق الصحة المشرط وبقــر بطنها وتناول من القدمين جنينا كامل النمو ، رفعه فى الهواء ، كأنما يريد أن يريه للجميع. حدث اتفاق جنتلمان بيـــن المتـــهم والعمـــدة ، وبين العمدة وبيننا على ألا نجر الابن فى الجريمة ، ولم يرد له ذكــر فى التحقيق ، ونحن نعلم علم اليقين أنه مشارك فى القتل.

وجئ بالخطيب ، شاب ممتقع من شدة الخوف ، ولكن ما كـان اسهل عليه أن ينكر ويتنصل. ليس فى القانون مـــع الأســف نـــص تقضى به العدالة ، يمكن به محاكمته مع أن القتل وقع بسبب حماقتــه هو أيضا.

لم يكن لهذا الأب مفر من قتل ابنته ، إن الذى وضع الســكين فى يده هو ضغط الرأى العام ، يجعل الشرف قـــاصرا علـــى ســلامة العرض ، ولو لم يقتلها لما استطاع أن يعيش فى قريتــــه ، فلأهلـــها انتباه شديد بسيرة نسائها ، أغلب الحديث يدور عن ذلـــك ... كأنـــها

حركة عضوية لا شعورية للمجتمع ، يريد بها أن يلفظ من يخرج عن تقاليده.

بل أكثر من ذلك يكشف لنا يحيى حقى تفاصيل الواقعة كما يقول الدكتور حمدى السكوت "باشر يحيى حقى التحقيق بعد ذلك ، واخبرنى شفاها بأن البنت كانت قبطية من تلميذات المدارس الأمريكية فعلا ، وبأنه تسلم رزمة الخطابات التى بعث بها إليها خطيبها".

وإذن فالحادثة الأساسية فى القصة هى أدانة الفتاة وقتلها وصيانة العرض. ومن هنا فالشخصية الأساسية هى الفتاة ، أو الأب ، أو الخطيب ، أو حتى الطبيب ، أو المعاون ، ولكن يحيى حقى فى صياغته للقصة لم يفعل شيئا من هذا بل أكثر من ذلك ، لقد نقل يحيى حقى مركز الثقل فى القصة من الفتاة إلى البوسطجى.

- **شخصيات القصة :-**

بدأ يحيى حقى قصته من نهايتها ، وسجل ذلك وعمد غليه ، وهو ما يطلق عليه (الفلاش باك). وبدأ بعباس وهو فى أزمته ونهايته ، بعد أن خارت قواه ، وكاد يفقد عقله ، وأخذ يجرى وراء

الفتيات فى القرية بحثا عن "جميلة" ، وأمسك بخطابات القرية ومزقها فى الطريق. ثم بدأ يحكى القصة من بدايتها لحسنى أفنـــدى معـــاون الإدارة.

وقد قطع يحيى حقى (القص) ليحدثنا عن عباس فى الفصـــل الثانى تحت عنوان (عباس ... أصله وفصله) فهو مـــن أســـرة كـــل أفرادها موظفون صغار ، لم يبرحوا القاهرة ، كلهم يؤكدون أنهم مـــن سلالة عربية ، هبط جدهم الثالث من مصر إلـــى طرابلـــس ، تفـــرق أولاده من المدارس على وظائف الحكومة ، معظمهم مات بعده بقليـــل – فقطعوا بذلك ماضى الأسرة عن جيلها الحاضر – استمر عباس فى دراسته إلى أن اقترب من البكالوريا فإذا بنوع من سوء الحظ أحـــاط بأسرته. لا يستطيع أن يضع أصبعه على حادثة معينة ويقـــول هـــى السبب ، أبوه بدون مناسبة ارتبك فى عمله وأحالوه قبل موعده علـــى المعاش ، وأخته غضبت وعادت للمنزل ، خرج عباس يبحـــث عـــن عمل فوجده فى مصلحة البريد ، ولبث فى القاهرة زمنا يتمتع بمرتبـــه ، يصرفه وهو نشوان فى تحقيق رغبات الصبا المتكتمـــة .. وجـــاء اليوم الذى صدر فيه أمر بنقله (ناظر مكتب كوم النحل).

وقد شغل المؤلف عدة صفحات فى الحديث عن عباس ونسبه وأسرته ولا صلة لذلك بالقصة الأولى إلا فى شئ واحد هو عيشه فــى القاهرة ، وإحساسه بالانقباض من تلك البلدة التى نقــل إليــها فــى الصعيد.

وفى الصعيد يطلعنا يحيى حقــى علــى الصفــات الجســدية والنفسية لعباس "... رأى وجها مطاولا يخرج منــه بوضــوح أنــف دقيق ، فتحتاه ضيقتان ، تحتهما شفتان رقيقتان ، فوق الجبين شــعر أسود فاحم ، زاد إهمال صاحبه له عن جمال حلقاته المتشابكة ..."[1] ويطلعنا على نفسية عباس عندما وصل إلى هذه البلد "من ساعة مــا حطيت رجلى فى البلد دى ما طقتهاش ، حســيت انــى محبــوس"[2] وتطورت حالة عباس لا يجد أحدا يكلمه أو يحدثه ، كــل مصــروف يده على الخمرة ، "كان يحسد ناظر المحطة وعــامل "البلــوك" بــل وخفير المزلقان لأن لهم فى القطارات وحركــة المســافرين وتطلــع الوجوه ما ينقذهم من وهدة الضجر والسأم. أما هو فعمله آلى رتيــب

[1] مجموعة دماء وطين ص٢٣.

[2] مجموعة دماء وطين ص٣٣.

فى غرفة ضيقة لا مفر له منها"[١] ويلقى المؤلف الضوء على الخطابات وسرها المكنون وما تفعله بالناس ، وتزين لعباس نفسه لفتح خطابات الناس والإطلاع على ما فيها من أسرار ، ويتورط عباس ويكون سببا من أسباب قتل هذه الفتاة "جميلة" بسبب فتح الخطابات وإطلاعه على أسرارها وتلعب الصدفة دورها فيختم الورقة الداخلية بختم المكتب ، ويكون فيها عنوان الحبيب الجديد ، ولا يسلم الخطاب ، وكيف يسلمه وهو مختوم من الداخل؟ وتظل "جميلة" ترسل الخطابات على العنوان القديم بلا جدوى ولا فائدة ، وتكبر بطنها وتفتضح ، ويجن جنون عباس ، ويروح يبحث وسط الفتيات عن "جميلة" ، ويتهم بمعاكسته للفتيات ويمزق كل الخطابات ، فلا فائدة بعد ذلك وتتكسر طبيعة عباس ، كما يقول يحيى حقى على لسان المعاون حسنى "إن جريمته ليست إلا ختاما فجيعا لاصطدام عباس ، ربيب قهاوى القاهرة وشوارعها ، بالصعيد وطينه وفلاحيه ، طبيعته قبل أن تفسد تكسرت فهو أحسن حظا من بقية الضحايا الذين يموتون على مهل عفنا"[٢].

---

[١] مجموعة دماء وطين ص٣٥.

[٢] مجموعة دماء وطين ص٤١.

شخصية الصعيد :-

"الصعيد" ليس مكانا تدور فيه الأحداث فقط ، ولا بيئة مكانيـــة يحدد الشاعر أوصافها ولكنه شخصية نامية متطـــورة مؤثـــرة فـــى القصة ، "الصعيد" ببيئته ورجاله وأعرافـــه ، المؤثـــر فـــى نفســـية البوسطجى والمحركة لها ، والمؤثر فى شخصية المعاون ، والفتـــاة والأب والمؤثر الفعال فى القصة كلها بأحكامه وأعرافه وبيئته.

ومن هنا فقد توقف يحيى حقى وتوقفت معه عملية "القـــص" ليرسم هذه الشخصية "أطل من الشباك على بيوت واطئة متراصـــة ، الفقير منها بالجالوص[١] والغنى برقش بفتات التبن فى طوبه التـــى كلها أقزام متزاحمة متلاصقة كأنها قبيلة متوحشة على رؤوسها شعر الهمج ، فى تلول هشة من حطب القطن وبوص الذرة ووصلت إلـــى أذنه صرخات متعالية ، بعضها للإنسان وبعضها للحيـــوان لا فـــرق بينها – حدة الصراخ فيهما واحدة وعناء المنتهر سواء[٢].

---

[١] قطعة من الطين الجاف تستخدم فى بناء بيوت الفلاحين.

[٢] مجموعة دماء وطين ص٣٤.

وينقلنا المؤلف من هذه الصورة القاتمة إلى صورة مشـــرقة للصعيد ، إيمانا منه برسم صورة صادقة للمكـــان ، وبـــأن المكـان يتوقف على نظرتنا نحن إليه ، فنحن الذين نعكس ما فى نفوسنا على المكان (... على أن عينه لمحت من فوق أكوام الوقود خضرة ممتـدة لا يرى فيها شئ بوضوح ، و حقل فول لم نظهر قرونه بعد ، أزهــاره فى مقتبل عمرها ، بعضها أبيض ، وبعضها ضارب للحمــرة ، كلــها تهتز فى حركة خفيفة. لا يستطيع ان يحس بها من رؤيـــة القــرون مهما كثرت ، بل لابد أن ترتمى نظرته وتشمل الحقل على امتــداده ، الحركة تجول فيه ، مختلفة النمط هنا عما هناك. ولكنها رغــم ذلــك الاختلاف شخصية واحدة لها سحر. العيدان كلها فى هــزة المرتليــن تشترك فى أنشودة خافتة معسولة.

فى بعض الأحيان يمر بركوبته وسط هذه الحقــول وتشــمله بعطرها فينسى كل همومه وثقالة الصعيد. ويسرح ذهنه ، ويشــعر أن ما بينه وبين الله قد عمر من جديد هو أسير الصعيد ، ولكنه مذعـن ، موطد نفسه على الرضا بما فيه"[١].

---

[١] مجموعة دماء وطين ص٣٤.

على أن هذا الوصف للبيئة ليس جامدا ، ولكن الصعيد يفيد الناس ، يحول طباعهم ، ويؤثر عليهم (... كثيرون غيره جاءوا أصحاء النفوس ، على وجوههم جمال الرضا والاتزان ، فى حركاتهم وملابسهم تأنق ، فأصبحوا بعد زمن غلاظ الوجوه سمان البطون ، ثقيلة حركاتهم ، نظرتهم حيوانية ، وكلامهم بذاءة متكررة فكاهتهم منحطة. أفكارهم سخيفة محصورة ضيقة. حين يعودون لمدنهم ينكرهم أصدقاؤهم وتختلف أذواقهم حتى كأنهم شعبان مختلفان.

الصعيد هو المسئول عن تلفهم ... فهم طيبوا القلوب ، ولكنهم من ضيق التربية بحيث لا يستطعيون السمو عن المحيط المنافر لهم أو إخضاع ظروفه لمنفعتهم ، واستخلاص ما فيه من خير ، والإعراض عن شره. فهم لا ينتقمون من جو الصعيد المقبض ووحدته القاتلة إلا فى أنفسهم. يسهلون لها المنزلق ، ويترددون فى عناد وتكبر إلى الهاوية. يبدأ أحدهم بكأس مع أصدقائه وينتهى بسكير مدمن الخمر أهم خزين بيته ... ويلعب آخر للتسلى ، فيصبح مقامرا يسهر للصبح ، ويوقف حياته على تشم أخبار (البرتيتات). ثم من وراء ذلك من ينساق إلى اختلاس هين ، أو سرقة تعد بالقروش.

منهم من ينجو ، ومنهم من ينتهى إلى السجن"[١]. هكذا نرى الصعيد وهو يؤثر فى هؤلاء ويحولهم إلى غلظة وانزلاق وخمر وسقوط.

- **شخصية "أم أحمد" :-**

حرك يحيى حقى أحداث القصة بعد نقله البوسطجي إلى الصعيد ، ولم يجد متنفسا فى هذا الجو الخانق ، ولا تسلية سوى خطابات الناس يفتحها ، ويعرف ما بها ويتسلى بأخبارها "كنت فى الأول أفتح الجواب (اللى يجيى) تحت إيدى بالصدفة ، كله عندى زى بعضه ، تسلية والسلام ، لقيتها كلها سخيفة ، بقيت بعد كده أنقى جوابات ناس اعرفهم. من دول مرة عجوزة تيجى كل يوم الصبح تسأل بنفسها عن جواباتها ..."[٢].

ومن هنا يفرغ يحيى حقى لوصف شخصية هذه المرأة ، مظهرها ، سلوكها ، نفسيتها ، صلتها بالخطابات ، لنكتشف بعد ذلك أنها شخصية مهمة ، هى حلقة الوصل بين الفتاة وحبيبها. ويحيى حقى يرسم صورة نفسية لها فيقول "كل الناس يواجهون الشباك. أما

---

(١) مجموعة دماء وطين ص٤٠.

(٢) مجموعة دماء وطين ص٤١.

هى فجاءت ووقفت بجنب ، منكمشة ، الحياء يقطر منها ، سألها عن حاجتها فلم تغير موقفها ، وكلمته. صوت مدلل ناعم ، ولهجة خليعة بلا سبب ، كأنها تعرفه ، بل كان بينهما علاقة وليست هذه أول مرة يراها فيها"[١].

ويرسم صورة لمظهرها الخارجى فيقول "أم أحمد تتعصب بمنديل "بقويه مفلفل" وتغطى وجهها بطرف طرحتها قلما تزيحه ، حتى يظل لها بفضل رقة صوتها جمال الظن والحدس ، على أنها إذا تكلمت تضعف من جديد أمام اعتقادها فى نفسها وفى سحرها الذى لا يزول ، فهى تزيح لمحدثها طرف طرحتها لحظة واحدة ، ثم تعود لصوابها ، وتغطى وجهها ثانية فى حركة مريعة كلها جبن وتردد ، يتمثل فيها نزاع حاد لا ينتهى بين قوى متكافئة : غرورها وحصافتها. ناولها خطابها فمدت له يدا ، من حافة أظافرها إلى الرسغ فروع من الوشم مغضنة ناشفة ، لم تفلح الحناء فى تغطية زرقتها"[٢].

---

[١] مجموعة دماء وطين ص٤٢.

[٢] مجموعة دماء وطين ص٤٢.

ونكتشف بعد ذلك بدور أم أحمد فى القصة ، فهى المرأة العجوز التى ترسل خطابات الحبيبة ، وتستقبل خطابات الحبيب لتوصلها إلى جميلة ، إلى المحبوبة جميلة.ويحيى حقى ، قد رسم لنا صورة أم أحمد الجسدية ، وتصرفاتها الشخصية بهذه الكلمات ، وهى كافية لتخدم الشخصية فى القصة ، ولكنه لا يكتفى بذلك وإنما يروح يحدثنا عن "أم أحمد" بصورة تفصيلية ، بما تحتاجه القصة ، وبما لا تحتاجه، بما يخدم القصة ، وبما لا يخدمها "هى امرأة تزوجت أربع مرات ، فارقها كل زوج بطلاق بعد عشرة قصيرة. وتسنى لها بفضل هذه المجموعة أن تشترى بما جمعته من متأخر المهور فدانا ونصف جاموسة ، هى ماشطة "بلانة" فى الأفراح ، حادية بالغناء عند طلوع الحجاج والمقدسين أو رجوعهم. داية إن استغاث بها جار قريب ، تعرف وصفات ، وتفسر ا؟لأحلام ، وتحسب النجم ، تفوح منها دائما رائحة الماورد ، كل مناسبة اجتماعية تكون فيها أم أحمد بلا دعوة .. إلا فى المآتم فهى لا تطيقها ، ولعل ذلك لأنها لم تخلف من زواجها المتوالى ، ولم تفجع كمعظم المتطوعات باللطم و "الصوات" فى ولد عزيز.

إذا قابلت فتاة كلمتها رأسا ، ولو كانت تعرفها لأول مرة ، عن جسمها وثوبها وشعرها وحمامها ، وإن كانت امرأة سألتها عن زوجها وعاداته ونوبات مرضه وهجرانه ... كم فى كوم النحل من رجال يجهلون أن زوجاتهم تلقين عن أم محمد نصائح أشبه بالدروس. فمعظم النساء يعرفنها ، ولكن القليل منهن من تعلم أن أم أحمد قد تمثل فى بعض الأحيان – عندما تكون "رايقة" – مع التلميذة نصائحها ، لتكون دروسها عملية أقرب للفهم ، وأن هذه الدروس هى سبب اطمئنان فتيات كثيرات فى لياليهن الأولى مع أزواجهن ، أو ارتفاع قيمة زوجات فى نظر رجالهن بعد هبوط وإعراض"[1]. أرأيت كيف استطرد يحيى حقى فى رسم أبعاد هذه الشخصية ، مع أن هذا البعد الأخير الذى رسمه لا يخدم القصة فى شئ".

- **شخصية المكان :- (كوم النحل)**

ويحيى حقى مولع برسم الشخصيات ، مهما كان دور الشخصية ، وسواء كانت القصة فى حاجة إلى هذا أم لا ، فهو يتحدث عن تلك القرية التى عمل ناظر للبريد فيها "كوم النحل". فيبدأ

---

[1] مجموعة دماء وطين ص٦٠.

الحديث هكذا "كوم النحل من أعمال مركز ... بأسيوط ، ليس فيها أحد يستطيع أن يجيب : هل النحل هو الذى خلق البلده؟ أم هى التى خلقت لنفسها هذه التسمية؟ كل ما يظفر به الباحث سطر ونصف فى خطط على مبارك " مشهورة بجودة عسلها بينها وبين مركز ... خمسة عشر كيلو مترا)[١] لم يقرظها باسم أسرة واحدة مشهورة ولكن الظواهر تدل على أنها بلدة قديمة ، قد يرجع سبب إهمالها إلى أن آثارها لم تكتشف بعد فهى لم تتأثر بالطوفان العربى ، وتكا تنفرد عن بقية بلاد المركز بأن اسمها ليس مسبوقا "ببنى" أو ينم عن اسم قبيلة. هى واقعة على الجسر "الطوالى" بعدها عن الجبل نفور ظاهر عن حياة البدو ، وارتفاعها عن وسط الحوض ترفع عن الزراعة. والأغلب أنها ظلت طوال عمرها فى تجارات تعيش زمنا ثم تختفى. فلما وقعت على النحل ، ولا يعلم متى لم تستطع أن تتخلص من قبضته ... ومال بعد ذلك بخت مصر ، وذوت صناعاتها ، وجاء يوم

---

[١] هذا الوصف لها وتحديد مكانها ، والبحث عنها فى خطط على مبارك يدل على أنها اسم لبلد حقيقى موجود وهو ما يرد به على من قال : (ولكن أحداثها وقعت فى قرية من قرى مركز منفلوط ، لم يكن اسمها بالطبع "كوم النحل" فهذا الاسم من اختراع يحيى حقى" مجلة الثقافة يناير ١٩٧٥م ص٧٣.

تفرق النحل فيه من خلاياه إلى الثقوب وفجوات الشجر ، ثـــم بلعــه الكون وغاب.

لم يبق من هذا التاريخ سوى الاسم ، وبض خليات من الطين على أسطح قليلة يرزق منها ومعاشها متوقف عليها بيـــوت قبطيـــة تربى النحل وراثة لا اختيارا ، عن تلقين لا عــن ســعى ، تجارتــهم محاطة بسرهم ، ككهنة دين هدمت محاربيه فى نظر بقيـــة الســكان الذين غمرتهم الزراعة فى ذلها واستعبادها فليست تملك كوم النحـــل – على اتساعها وكثرة سكانها – سوى الأقل من عشـــر زمامـــها – والباقى وقف لسلالة الشركس لها قصر خرب فى البندر"[١].

هل كانت القصة تحتاج إلى كل هذا الوصف والتحديد لقريـــة "كوم النحل" بالطبع لا.

- **المعلم سلامة :-**

هو "أبو جميلة" تلك الفتاة الموجودة فى القصة ، وقد توســـع فى التعريف به "من تجار النحل فى البلدة المعلم سلامة. رجل يقـــول عنه المسلمون أنه "عضمة ذرقة" ومع ذلك لا يشعرون إذا جالســـوه

بأى كره له ، لا لأنه بحكم مهنته بعيد عــن المســاقى ومشــاجراتها والحدود وخصوماتها ، والمواشى تنزل فى البرسيم ، والمـــاء يمــر بالقوة ، بل لأنه رغم ما يقال عن شيبته الزرقاء أيضا لا يكاد يفــترق فى مظهره ، فى أخلاقه وعاداته عن بقية المسلمين.

اللبس واحد ، والعمامة فوق رأسه عليها المقدار ذاتــه مــن التراب ، تتحجب امرأته فى الطريق كأهل البلد ، هــو أرثوذكســى ، يزهو بزيارات القسيس له ، ويأخذ أسرته كلها للكنيسة ، فيجلس هـو تحت ، وتجلس امرأته وبنته الصغيرة جميلة فــى الشــرفة محجبــة بالشبش – ويبدأ الجميع فى ترتيل صلاة ، بعضهم يقرؤها من الكتــلب ، وبعضهم لا يحفظ النغمة فهو متردد ، ولكنه يسير بسهولة بعد ذلــك عندما ينتظم الجميع ويحملونه معهم ، يقودهم المعلم سلامة ، يحفـــظ كل الصلوات نغما وكلاما عن ظهر قلب. صوته أجش غليــظ ، يقــال عنه أنه ككان فى شبابه أحلى أصوات المصلين ، ثــم أتلفــه الكــبر والدخان ، وينسى المعلم سلامة نفسه ، ويحنى رأسه على صـــدره ، ثم ينتبه بين حين وآخر لصوت رفيع كله تضرع وخشوع هو صــوت

---

(١) مجموعة دماء وطين ص٥٠

جميلة ، ترث أباها فى ذوقه الموسيقى ، لا يشعر به أحد ، ولكن أذن الأب تصطاده من وسط التيار"[1].

هل كل هذا التعريف بشخصية الأب داخل فى إطار القصة وخادم لها؟

- **جميلة وخليل** :-

المفترض أنهما بطلا القصة وركيزتها وشخصيتها الفاعلة المؤثرة فى الأحداث ومع ذلك نرى يحيى حقى يحدثنا عن جميلة فى جمل متقطعة ، من خلال سفرها إلى أسيوط للتعلم ، فهى لم تبلغ العاشرة ، ويوم يمر ويوم يأتى والفتاة النحيلة القصيرة يتمشى سر الحياة فى جسمها فينبت ثدياها ، وتعرف الخجل وغفى العين وصعوبة النوم.

وأتممت جميلة السنة النهائية ، ويصحبها إلى النخيلة لرؤية خالتها ، ولتنفذ عهدها فى زيارة صاحبتها مريم ، وهناك تعرفت على أخيها خليل. ويصف يحيى حقى "خليل" فى خيوط باهتة لا تكاد تبين "هو أول شاب تراه جميلة عن قرب ولما يمضى على اشتعال جذوة

---

(١) البوسطجى ص٥٢.

شبابها وقت طويل. وزادة قيمة فى نظرها أنه أخـــو مريـــم "أختـــى وحبيبتى طول العمر" خدع نفسها إكبارها للصديقة فانســـاقت دون أن تشعر إلى الإعجاب بالأخ. ولكن هذه كلها ظروف خارجية مـــا كـــانت تستطيع أن تتسلط وحدها على قلب جميلة لولا أن ساعدها شـــارب صغير – صغير جدا – شعر خفيف يزين شفته. فى حديثـــه لثغـــة لا ينساها من يسمعها. خده لم يعرف الموسى إلا من وقت قريب. يحمـــر ويصفر إذا تلاقى نظراهما. بروتستانتى ، درس فى مدارس الأمريكان ، موعود بوظيفة مدرس فى إحدى مدارس الأقباط بالإسكندرية"[1].

ولا ينسى يحيى حقى أن يرسم جوا نفسيا بريئا طفوليا بيـــن الفتى والفتاة وقرب بينهما "واراها قلم الأبنوس الذى قاربه لحصولـــه على أعلى درجة فى اللغة الإنجليزية. هل تتكلمـــها مثلـــه؟ وأســـرع يقترح عليها – كعادة التلاميذ – أن يتكلما بها ، وهكذا وتنقل الحديـث بينهما فإذا بعقلية الفتى فى مستوى عقلية الفتاة"[2].

- **التقاليد** :–

هى خليط من البيئة والثقافة والديانة ، أمور متشابكة ، مـــن يقرأ القصة يرى أن هذه الأحداث هى المحرك الرئيسى للقصة وهـــى

---

(1) البوسطجى ص٥٥.

(2) مجموعة دماء وطين ص٥٥.

المتحكمة فيها هى التى تحكمت فى البوسطجى ، وهى التى تحكمـــت فى خطيب الفتاة وفى مصيرها.

بالنسبة لخليل يقول يحيى حقى "يظلم هذا الشاب من يتهمـــه بأنه غشاش أو مخادع كل ما فى الأمر أنه قليـــل التجربـــة ، يقـدم بسذاجة على أدق المواقف ، جاهلا بما فى شعائر الحياة فى صلابـة ، فقد جاء لكوم النحل مفلس اليدين ، لأن أمه لم تبع الطين. لا يـــدرى بالضبط إلى أى مدى يكون مسعاه. كل ما أخبر به أمه أنه ســـيخطب جميلة ، يخطبها فقط من أبيها.

وقابل خليل مع قريبه فلتس ، المعلم سلامة وفاتحه برغبتـــه فى الزواج من جميلة ، فارقهما الأب وهو فاهم أن المسألة خطوبـــة فقط لأنه ينتظر أن يكون مع الشاب أمه أو أحد أعمامه.

فى الجلسة الثانية لم يشعر خليل أنه ينساق إلى التكلـــم فـــى الإكليل وتاريخه ثم وقفت المفاوضة مرة أخرى عندما فـــهم المعلـــم سلامة أن خليل لم يأت بالمهر.

تحركت المساعى من جديد وقابل الجميع القسيس فـــإذا هـــو ماء بارد يصب بلا رحمة على نار عجلتهم. العريـــس بروتســـتانتى

والعروسة أرثوذكسية ، فلابد من أن يكتب لمصر ليستأذن. هل جـــاء بشهادة من كنيسته بالنخيلة انه غير متزوج؟ الخ الخ. شروط شــكلية ولكنها تستلزم وقتاً.

ولما انتهت هذه الجلبة بسفر خليل ، أحس المعلم سلامة أنـــه يستيقظ من حلم. أين هو وقت إن كان يساق إلى كل هذه التســـهيلات لأجل هذا الفتى الغريب عنها؟ وحمد الله فى سره أن المسألة لم تتـم ، يلزمها أولاً تكملة ما ، فى شكلها الخارجى من نقص يلحظه النـــاس. على الأقل أن تأتى أمه ليرى وجهها ، أو يقدم لها خاتماً ، ثـــم هـــو يريد أن يسأل بعض معارفه فى القاهرة عن حقيقـــة مرتبـــه وعـــن مركزه فى المدرسة[1].

ويرينا يحيى حقى أثر هذه الشكليات فى سير القصة ونموهـــا فيقول "ولو درى المعلم سلامة أن فى بطن ابنته جنيناً ينمو يوماً بعـــد يوم ، كعقرب الساعة لا ترى العين حركته ، وهو دائب السير لمصـــير محتوم ، لما حمد الله كما فعل ولأكل الهم قلبه"[2].

---

[1] مجموعة دماء وطين ص٦٤.

[2] مجموعة دماء وطين ص٦٤.

• **السقوط :-**

هل أراد يحيى حقى أن يجسم سقوط الفتـــاة ووقوعـــها فـــى الشرك ، لتدفع ثمن جريمتها. نحن نرى هذا الحدث بارزاً ماثلاً للعيان ، رسمه يحيى حقى وتتبع خطاه وركـــز عليـــه فـــهو يبـــدأ الحـــدث كالآتى:-

- أمسك يديها ، ثم لمس ثديها وقبلها ، ونسيا نفسيهما فى إحدى هذه الفورات واجتبى منهما الشباب جزيته.

- ثم هفا بها لسوء حظه طبعه الصبيانى وطلبـــها مـــن جديد ، وكانت جميلة واثقة من وعوده. وربما لم تكن أقل منه ميـــلاً لطلبه ، ولكنها أثناء نشوتها ، أشرق عليها إدراك أشـــبه بالإلـــهام ، أحست معه بفراغ بارد يدب فى قلبها فيطفئ من هيجانه وناره. فـــى إلحاح خليل عليها لتجيبه إلى طلبه وهو على أهبـــة الســـفر ، دليـــل مؤكد على خفته وقصور نظره عند موطـــئ قدميـــه. يـــهمس لـــها وسواسها لم العجلة مادام سيعود؟.

- ولو درى المعلم سلامة أن فى بطن ابنته جنيناً ينمـــو يوماً بعد يوم كعقرب الساعة لا ترى العين حركته ، وهو دائب الســير لمصير محتوم ، لما حمد الله على ما فعل ولأكل الهم قلبه.

- ليال لا تنامها من الأفراح ، تتلوها ليال من الكـــرب ، كانت قد ألهبت عواطفها بالسياط. وعلقت كل آمالها على مجىء خليل فخانها حظها الأغبر.

- لا تجد أصعب على النفس من الفرصة تملكها اليد ثـم تنساب من خلال الأصابع كالماء. لم تكن فى إشباع شهوة أو تحقيــق حلم ، بل فى إنقاذ شرف. ولماذا لا تقول إنقاذ روح؟

- فمن يدريها أن حنان هذا الأب قد ينقلب فجـــأة إلـــى قسوة لا تلين؟ أصابعه التى تجوس خلال شعرها قد تنقلب فى خيانـــة مباغتة وتطبق على حلقها. جميلة! أنت التى كنت أعزها ولا أرد لـــها طلباً تفضحين شيبتى. تضعين ذقنى فى الوحل واســـمى فـــى أفـــواه الناس يمضغونه على مهل كأنه العلك اللذيذ ، على مهل من هنا ومـن هنا يتبادلونه كأنه الهدايا ويثيرونه عندما يملون الحديث.

- لمن تشتكى؟ فتاة لا تعرف من المـــآزق والمخـــاطر شيئاً ، ترى نفسها أمام مشكلة ليست فى الحياة مثلها ، هـــى عقـــدة كلها اصطدام ونزاع ، وخيوطها من ديانة وتقاليد ووهـــم ، موشـــجة بحكم الدم والجسم ، وسر الحياة لا يهمه ماذا يعتقد الناس ، لا رحمـــة فيها ، جبروته قلما يستطيع أن يثور عليه رجل فى وسط الصعيـــد ، وبعقلية يرثها عن أجيال لا تتسامح ولا تلين.

- اصفرت جميلة وتاهت نظرتها ، وتعلمت أن تحتضـــن الوسادة بذراعيها وأن تسرح لا أن تنام ، تتقلب على الجبين. هل مـــن مخرج؟

- فهى بعد أن أخبرت خليل بسرها فى خطاب سابق لـــم تعد إلى ذكره. تشاؤمها وخجلها يثنيانها. تحتمل عارهـــا فكـــرة ، ولا تطيقه على الورق مخلوقاً من صنع يديها مكشـــوف الوجـــه بشـــعاً يحملق فيها ، واكتفت أنها فى كل خطاب تناديه وهو فاهم.

- وجدها فى خطاب غريب تنفجر بمـــرارة. مســـكينة! تقول له لماذا لم يأت! هل نسى ما أخبرته به؟ أم لم يفهم؟ لعله فـــى فسحة يضحك ويتسلى بين أصدقائه يطارحهم النكات. فهل فكر فيـــها؟

جاوزت شهرها السادس وأصبح منظرها مفضوحاً. منذ أيـــام وهـــى تدعى المرض حتى لا يراها أبوها. جاءها القسيس وبـــارك وصلـــى. وجه أمها مسود كسيف لعله هو الذى ينم عليها. لا يزال فـــى الأمـــر مخرج لو جاء ، لو جاء وعقد عليها وآخذها معه. بعيداً عـــن هـــذا الأب وهذا المنزل. لتعش طـــول عمرهـــا خادمـــة تمســـح حـــذاءه ، ليضربها كل يوم ، ليعطها عيشاً جافاً كالكلاب[١].

- أخذ كل خطاب يقصر عمـــا قبلـــه. كالنـــار تنطفـــئ وتطاطئ رأسها على مهل. حالتها سيئة ومصيبتها كبـــيرة ، ولكنـــها واثقة منه ، لا يفارقها اعتقادها أن كربها إلى فرج ، فماذا جنت هـــى فى حياتها؟ لا تذكر أنها صلّت بقلب بارد ، أو أذنبت فى حق الشـــاب. يارب لماذا؟ من وسط آلاف الفتيات يختارها القدر ليذيقها المر؟ مـــن أسابيع وهى لا تخرج من البيت حتى ذوى لونـــها ، وأمســـكت عـــن الأكل إلا ما يدفع إليه جوعها.

- ساعد جميلة على التهرب من نظر أبيها أنه قلما يأتى لمنزله إلا لينام. تجارته تشغل وقته وتضطره إلى السفر لأسيوط. فـــى

---

[١] مجموعة دماء وطين ص٦٧.

المرة الأخيرة عاد مع الليل بعد غياب غير قصير ودخل وفى حضنه بطيخة.

- اقترب الرجل من ابنته ووضع يده على رأسها ، سقطت نظرته على جسمها ، ورفع وجهه فإذا به قد شاخ فى اللحظة الضئيلة سنين. هو "العضمة" الزرقاء حقاً. وجهه فى لون رمادى منطفئ. ذقنه مصفرة ، وشفته "منيلة". فى عيونه لمعان أصفر. وكأن رأسه صغرت فجأة ، فالعمامة تنزلق وهى ثقيلة الدم ، فتقضم نصف أذنيه ... ونسى المعلم سلامة عشاءه ، وفضلت البطيخة صحيحة.

- رجعت جميلة كتبت لخليل جواب طويل. لازم أبوها مش حيسكت بعد كده خايفة منه ، خلاص مالهاش أمل. ثلاث أربع أيام ما خرجش من البيت ينفخ ويتنهد. لو يجى خليل ولو يوم واحد ، كل شئ ينتهى. فين هو؟ فى عرضه فى طوله. تبوس رجليه ، يعمل فيها معروف.

- مضت ليال لم يغمض لها جفن ، تنصت لوقع الأقدام وتظن الظنون. على أى شكل ستلقى حتفها؟ أيختار رجلاً أم سكيناً ، مخدة مبللة أم سماً نقيعاً؟

- ونسيت جميلة خليـــل وصمتـــه وكذبـــه وخيانتـــه ، واقتصر اهتمامها على حياتها لو تستطيع أن تهرب من الدار لنجـــت. ولكن أين السبيل وهى محبوسة؟

- كتبت له الدور دا يا يلحقها يا ميلحقهاش .. لو ماتت مقتولة يكون موتها علشانه.

- وانتبه الرجلان على صوت جرس الكنيسة الصغـــيرة يدق ، إشعاراً بموت ، يكاد ينطق ، فقد يعبر النحـــــاس فـــى بعـــض الأحيان عن منتهى حزن الإنسان وألمه[1].

- **شخصية المعاون :-**

لقد كان عمل يحيى حقى فى الصعيد (معاون إدارة) وهو فـــى هذه القصيدة يجعل "حسنى" يقوم بهذا الدور ، ولا يكتفى بدوره فـــى القصة ، بل يروح يغلف سقوط الموظفين المغتربين ، ويحنو عليـــهم ويتلمس لهم الأعذار ، وينظر إلى اللوحة كلها مـــن الخـــارج لا مـــن الداخل ، ولعل يحيى حقى كان يتقمص دور "حســـنى" وهـــو يرســـم شخصيته. وقد بدأ القصة به متلقياً لبلاغ أرسله العمدة فى عبـــاس ،

---

(1) مجموعة دماء وطين ص٧٨.

وانتقل عباس وتحرك ولم يرسم لنا يحيى حقى شخصيته ، والإنسان منا قد يصف الناس كلهم وينسى أن يصف نفسه ، لقد وصف جميلة ، وتوقف بقلمه للحديث عن البوسطجي وشحذ ذهنه لوصف الصعيد ، ولكنه لم يفعل ذلك مع حسنى "دخل حسنى أفندى مكتبه : خطوته سريعة ، جبينه معقد ، وأخذ – أى خطف – البلاغ من يد الغفير ..."[١].

ولكنه من خلال تصرفات "حسنى" وتعلقه للأمور ، ونظرته إلى الصورة من خارج الإطار يعطينا صورة نفسية للشخصية ... (... أم إحساسه بالشفقة نحو هذا الوجه المدفون فى غرفة مظلمة رطبة فى بلد حقير؟ ... عندما صافحه من بين ثنايا العوارض الحديدية خيل إليه أنه يمسك بيد سجين)[٢].

وفى البلاغ الثانى الذى اتهم فيه عباس بأنه يهجم على الفتيات نلاحظ حسنى وهو يعامله برفق "أجلسه حسنى ولم يفاتحه بسؤال ، وعند انصرافه أخذه من ذراعه وسار به إلى داره ، وأغدق عليه من "كولونيته" وتركه فى غرفة استقبال متواضعة ، ولكن

[١] مجموعة دماء وطين ص١٩.
[٢] مجموعة دماء وطين ص٢٤.

كنباتها بأغطيتها البيض ، وجوها الهادئ تريح الأعصاب المتعبة ... نما العطف بين قلبيهما ، وأكلا معاً ، وقص عليه حسنى من ذكرياته وتجاربه حكايات تنسى الهموم فابتدأ عباس يعود للحياة.

وبعد أن استمع "حسنى" للقصة كلها على لسان عباس يطلعنا يحيى حقى على دور "حسنى" فهو مفلسف للواقعة والأحداث ، مبرر لها ، متفهم لنشأتها ودوافعها ، ناظر لها ومتفرج عليها غير مشارك فيها (وسكت عباس فخلا حسنى لنفسه. و كالمتفرج فى السيرك ، تهزه مخاطرة اللاعب ، وإن لم يفته اليقين أنها ككل ليلة تنتهى بسلام بيد أن عاطفته جعلته لا يتخلف عن عباس فى قصته ، يسايره فكرة فكرة ، فاهماً دواعيه ، مقدراً أحزانه وهمومه ويشاركه الندم ، ويرثى له كيف هوى حظه وخانته يده؟ ويعتقد كما يعتقد عباس أنه اغتال هذه الفتاة بهفوته. بولكن حسنى يعلم أيضاً أنه يستطيع بمجهود صغير أن يغير من نظرة عباس لماضيه ويعيد إلى هذا المريض ثقته بنفسه ... ولكنه وهو الخبير المجرب لن يقصد إلى غرضه بمحاولته التقليل من حدته وهياجه ، أو بأن يفتح له عينيه ليريه مبالغته الظاهرة وتهويله. فهو يعلم أنه لو فعل ذلك لما زاد شعور عباس إلا التواء ... فخير ما يفعله معالج الأعصاب ، أن

يؤمن بقول المريض ، لا حيلة بل اعتقادا. التفت إليه حسني وهو يبتسم : "ومين اللى فى الدنيا دى كلها مسئول؟"[١].

البطل فى قصة البوسطجى :

البوسطجي كما رأينا عبارة عن قصة داخل قصة ، قصة البوسطجى وابتداء أزمته بعد انتقاله من القاهرة إلى الصعيد ، وقصة "جميلة" تلك الفتاة التى خرجت من قريتها لتتعلم وحدث لها ما حدث.

وفى القصتين أبطال ، أو شخصيات تختلف فى أدوارها وإن اتفقت جميعها فى اعتناء المؤلف بها.

- **البطل باعتبار المساحة فى بنية النص :-**

إذا نظرنا إلى البطل باعتبار المساحة التى أخذها فى بنية النص ، تبين لنا من خلال العرض السابق للشخصيات ، أن المؤلف قد عنى بشخصيات كثيرة ، وأعطاها مساحات كثيرة من النص ، تحتاجها القصة أحياناً ، ولا تحتاجها ولا تخدم القصة فى أحايين كثيرة.

---

(١) مجموعة دماء وطين ص٧٨.

"البوسطجى"

شخصية من الشخصيات الرئيسية فى القصة رسم المؤلف بعدها النفسى والاجتماعى والجسمى ، وجاءت شخصية نامية ومتطورة ، فهو فى البداية يتألم من الوحدة والغربة (وجرح قلبه. هل أسرته نبت شيطانى عائم على وجه الماء؟ فى نفسه ضعف لشعورها بأنه ينقصها – على خلاف من حولها – جذور قوية تربطها بمكان معين ، إجازته كدراسته تمضى فى منزل لا يستقر فى حى واحد)[1] وبعد ذلك تجد الشخصية تعويضاً لهذا العجز ، وذاك الإحساس بالنقص فى القاهرة وشوارعها وفسحها (له ثلة من الأصدقاء سريعة تنقل الأهواء ، مرة فى قهاوى المالية تلعب الطاولة ، ومرة فى قهاوى أبى الريش تلعب الشطرنج ، وأحياناً فى قهاوى سيدنا الحسين يتعشون بالكباب (اسم الطعمية فى هذا الحى) ثم إذا جاءهم فرج أول الشهر يتبخترون بضعة أيام فى شارع عماد الدين ، هم فقراء لا يحتكم أحدهم على ريال صحيح ، ومع ذلك يشعرون كأن قهاوى القاهرة وشوارعها وفسحها ملك لهم ... ولبث فى القاهرة

---

[1] مجموعة دماء وطين ص٣٢.

زمناً يتمتع بمرتبه يصرفه وهو نشوان فى تحقيـــق رغبـــات الصبـــا المتكتمة. كلما أذاقته شبعاً خلقت بدله جوعاً جديداً لأنواع مختلفة من اللذات)[1] ويأتى تحرك الأحداث وتغيرها لتنمو الشخصية فى الإطـــار المرسوم لها وينتقل "عباس" البوسطجى من هذه البيئة التى يتنفـــس فيها ويتحرك فيها إلى بيئة أخرى مغايرة ومناقضة) يحس فيها أنـــه محبوس (حسبت أنى محبوس ... فين مصر وشـــوارعها وناســـها ، وفين الليل مليان نور)[2] هذه البيئة المتناقضة تدفعه إلـــى الضجـــر والسخط "والشرب" وإهمال نفسه وملابسه وذقنه وهيئته ، وهذا هـــو المنظر الخارجى ونلاحظ المفارقة بين أيام القاهرة وأيام الصعيد فـــى لبس البدلة. فقد كان يحس بتفوقه وامتيازه على أقرانه الذين يذهبون بعد الدراسة إلى الريف وذلك فى قوله (... فهو قد فهم من محادثتـــه معظم هؤلاء الزملاء انهم ما يكادون يصلون لبلادهم حتـــى يخلعـــوا بذلهم ولا يرونها إلا إذا حان موعد الرجوع ، أما هو فبعيد عن هـــذا الانقلاب وهذه الحياة ذات الوجهين فبذلته موجودة كل يـــوم تنتظـــره

---

(1) مجموعة دماء وطين ص٣٣.

(2) مجموعة دماء وطين ص٣٣.

بعد العصر ليخرج يتجول بها فى شوارع القاهرة)[1] وهــــذه المـــيزة على الأقران قد فقدها فى بلاد الصعيد ، فبذلته بذلة صفراء لا قيمــــة لها فى نظر الفلاحين (والأدهى من كده أن دى أول مرة ألبس فيــــها بدلة البوسطة الملعونة دى ، عامل أفندى بالكدب ، لا طلـــت عنــب الشام ولا عنب اليمن ، عمر الفلاحين ما بصوا لى وأنا فـــى البدلـــة الصفرا دى زى ما بيبصوا باحترام لمعاون دودة حقـــير ، ولا كـــاتب صحة أصله مزين علشان لابسين بدل ... واتعودت أروح بالجلابيـــة والجاكتة المكتب ، ما ألبس البنطلون والياقة إلا لما ييجى المفتش)[2] فمسألة لبس البدلة أو الجلباب ليست مجرد تغيير زى يناسب البيئة ، ولكنه مرتبط بأعماق الشخصية ونفسيتها وتشكل رمـــزاً للتمـــيز أو التلاشى والضياع ، ليس هذا وفقط ولكن المؤلف وقف عندها وقوفـــاً طويلاً وألح عليها فى موقف ثالث يرينا أن النهاية أن يتحول "عباس" إلى رجل يلبس بالجلباب البلدى ، فهذه عنده منتهى التلاشى والضياع وهو ما دفعه إلى البكاء وحده بكاء مُراً لوصوله إلى هذه الحالة.

---

(1) مجموعة دماء وطين ص٣٢.

(2) مجموعة دماء وطين ص٣٥.

والحالة هنا ليست مجرد لبس الجلباب ، ولكن البذلة عنده رمز للتميز ، والجلباب عودة إلى التلاشى والضياع (وأنا واقف فى المكتب جالى الصراف ، ووراني قصقوصة قماش صغيرة فى أيده (زفير) ولا (بوبلين) حاجة زى دى. وقال لى :- يا عباس أفندى حاجة لقطة والبياع قومسيونجى صاحبى - تحب أجيب لك كام متر من دا؟ يعجبك؟ - عشان أيه؟ - ليه؟ مش ح تفصل لك جلابية على العيد؟. مش فاكر قلت له آيه ، فاكر أنى رحت أودة ثانية. حاجة محيرانى. أضحك؟ أول مرة أسمع فيها أنى أبقى زى ولاد البلد وافصل بدل البدلة جلابية!! حاجة تضحك ولا تبكى؟ الدمعة طفرت من عينى مرة واحدة. وهات يا عياط ... عمرها ما حصلت لى. ما كنتش أتصور أن كلمة سخيفة زى دى تخلينى أعيط زى العيال العياط دا كله)[1].

والبدلة والجلباب هنا رمز لابن المدينة ، وأولاد البلد كما يقول ، وهو يرفض أن يتلاشى ويصبح مثلهم ومع ذلك ترك البدلة ولبس الجلباب والجاكتة وترك القيافة ، لا عن رغبة واقتناع بل ضياعاً

---

[1] مجموعة دماء وطين ص ٣٦.

وتلاشياً . ويأتى عنصر آخر ليحرك هذه الشخصية ويدفعها إلى ارتكاب هذا الخطأ الفادح ، ويورط " البوسطجى " فى جريمة القتل ، فقد عاوده الملل وأرهقته الوحدة فراح يفتح الخطابات ، ويتعرف أخبار الناس ، ولم يكن يعرف أن قدر هذه المرسلات سيقاطع قدره ، ويختلط الاثنان جميعاً ، أن تكون فى أول الأمر لعبته ، ثم فى النهاية مصرعه .

وتأتى العقدة ، أو الأزمة أو المشكلة التى تفجر الصراع وتحرك الأحداث ، وتدمر البوسطجى وجميلة فى آن واحد . فقد أخذ يفتح الخطابات المرسلة لجميلة ويتعرف أخبارها ، وفى يوم ما أرسل لها "خليل" خطاباً يخبرها فيه بالعنوان الجديد الذى تراسله عليه [حطيت الجواب على جنب فوق الطرابيزة عبال مخلص من الشغل وأقفله على مهلى ... ملأ الختامة حبراً جديداً ، وأصلح تاريخ الختم المستدير ، ثم جاء بالخطابات ورتبها كلها على ظهرها كوما واحدا ، ثم بدأ بختمها فى حركة آلية سريعة متكررة ، مرة على الختامة ومرة على الجواب ... لسوء حظ عباس دخل عليه فى هذا الوقت شيخ خفر ، هو رسول العمدة يسأله متى يخرج من البيت ، هب فيه

عباس وهو محتقن الوجه هائج ، ختم البريد فى يده يرتعش ... نسى أن الختم لا يزال فى قبضته ، ولم يهتم فى حدته أيـــن تقـــع ضربـــة الختم وخانته يده فهوت بالختم على جواب خليل المفتوح ، وقبـــل أن يعى عباس لنفسه كان قد انطبع تحت إمضاء خليل ختم (كوم النحـــل – وارد) فى استدارة أم خمسة ، تلمع الحروف والأرقام ، حبر زفـــر ملعون] [١] .

تلك هى الأزمة التى فجرت الأحداث ، وقضـــت علـــى البوســـطجى ، وقضت على جميلة ، وجعلته يقف ذاهلاً أمام تلك المصيبة ، لو حاول أن يمسح الختم لخرق الورقة ، ولو أقفله وسلمه لأم أحمد فلابـــد أن تكتشف جميلة سره ، وتتصل بخليل فيشتكيه .

وكان من الممكن أن تمر المسألة بسلام ، فكم من خطابات تضيع فـــى البريد ، وسيتلوه خطاب آخر من خليل ، وظـــل البوســـطجى ينتظـــر خطاب خليل على أحر من الجمر ، وعندما جاء الخطـــاب ، كـــانت أم أحمد قد ماتت ، وهنا تعقدت المشكلة فخليل سيرسل على عنـــوان أم أحمد ، وجميلة سترسل على العنوان القديم الذى تركه خليل ولا أحـــد

---

[١] دماء وطين صـــ ٧٠ .

سمع الآخر ، والحمل فى بطنها يكبر ، وهـــى تســتغيث ، وعبــاس البوسطجى يكاد يجن ، هو السبب فى كل هذا ، ومن هنا فقد أصيـــب بلوثة فى عقله ، يبحث عن جميلة وســط الفتيــات (مشــيت مــش حاسس بنفسى ، أبص للبنات اللى فايتين ، يا ترى مـــا تكونـــش دى جميلة ؟ ولا دى ؟ يمكن دى ؟ قايست وحاجة خلتنى أهجم علــى أول واحدة : جميلة ؟ هربت منى ! والثانية : ما تعرفيش جميلة ؟ خــافت وجريت ، والثالثة : دورت وشها للحيط ، ووطت شـــوية شــوية ح تقعد على الأرض وتعيط) . وهنا يكشف المؤلـــف لنـــا ، ويكشــف البوسطجى للمعاون عن سر بلاغ العمدة " عباس أفندى حسين اتــهجم على محروسة بنت الشيخ مبارك ... وأتهجم على فرحانة بنت المعلم رضوان بعد صلاة المغرب " .

وتوالت خطابات جميلة التى لا تصل إلى خليــل ، وتوالــت خطابــات خليل التى لا تصل إلى جميلة وعباس بين تلك الخطابات يكاد يجـــن ، وأخذت الجوابات تقصر [آخر جواب كان بتاع النهاردة . وأنا رايـــح المحطة النهاردة الصبح فتحته وقريته ، كلمتين اتنين بس " خليــل ..

إلحقنى " ، عمرى ما شفت واحد بيطلع فى الروح ، ولا شفت ميت ، الكلمتين دول خلوا جسمى يقشعر][1] .

وتأتى الشخصية على نهاية نموها وتطورها فى انفجار الموقف ونهايته من جانب البوسطجى بتمزيق خطابات الجمهور ووصوله إلى الإعياء والحمى ، كما ورد فى البلاغ الثانى للمعاون " عباس عائد فى الصباح المبكر إلى المحطة ، راكباً ركوبته فوق الجسر ، أمامه حقيبته الصفراء مملوءة بالخطابات ، يثير دهشة أفواج الفلاحين الذين يمر عليهم ، لأنه لا يرد سلام من يحييه منهم ... وفجأة رأوه يفتح الحقيبة ويتناول منها بعض الخطابات ويمزقها أرباعاً ، ثم يرميها بذراع مفرودة فتطير فى الهواء كالريش ، ثم يعود من جديد ، والفلاحون يحملقون فيه لا يدركون علته)[2] ويكشف عباس البوسطجى عن سر هذه الحالة ، وهو يرى الفتاة تستنجد بفتاها ولا مجيب وهو السبب فى هذا [الجواب ده مسكته وقطعته ، الباقى اللى فى الشنطة زى الرصد قدامى .. هما ح يكونوا أهم من جواباتها اللى ضاعت ، طظ ! ينفلقوا أصحابهم ، ويروحوا فى داهية إذا كانوا

[1]دماء وطين صـ ٧٧ .

[2]دماء وطين صـ ٢٨ .

عاوزين ... جوابات سمجة سخيفة دمها بارد ، رحت نـــازل عليـــهم هات يا تقطيع ... تقولش ساعتها إنى باقطع فى هدوم واحد باخنقـــه ... بغل ، وبعدين ما حستشى بنفسى ، دخت ورحت فى دنيـــا غـــير الدنيا][1] .

وعند ذلك تكون قصة البوسطجى قد انتهت مع نمـــو هـــذه الأحـــداث وتطورها ، وينزل الستار بعد أن اغتال عباس هذه الفتاة بهفوته فـــى صورة جرس الكنيسة الذى يدق إشعارا بموت ... يكاد ينطق ، معلنـــاً الجريمة التى اقترفها عباس .

ومن هنا نرى النمو والتطور فى شخصية عباس البوسطجى .

***شخصية " جميلة " :**

قلنا إن قصة البوسطجى عبارة عن قصة داخل قصة ، القصة الأولـــى عن البوسطجى وسقوطه ، والقصة الثانية عن جميلـــة وســـقوطها ، وإذا كان عباس قد شكل الشخصية الرئيسية فـــى القصـــة الأولـــى ، وكان بجانبه شخصيات مساعدة ، أو ثانوية مثل المعـــاون والغفـــير والعمدة فإن شخصية جميلة تشكل الشخصية الرئيسية فى قصتـــها ،

---

[1] دماء وطين صـــ ٧٧ .

وبجانبها شخصيات ثانويـــة ، شـــخصية الأب ، والأم ، وأم أحمـــد ، وزميلتها فى المدرسة ، بل وحتى شخصية خليل ، الحبيــــب أخــذت شخصيته دوراً ثانوياً أيضاً .

وشخصية جميلة هى شخصية نامية ومتطورة أيضاً ، مع ملاحظــة أن هذا النمو وهذا التطور مرهون بحركة الصعيد الجامدة من ناحيـــــة ، والمتصلب بالنسبة للفتاة من ناحية أخرى .

والقصة تبدأ " بجميلة " طفلة صغيرة لها صوت جميـــل ، لا يميزهـــا عن بنات جنسها فى الصعيد أى ميزة ، وتنمو الأحداث عندما يــــنزل بالقرية مبشر بروتستانتى من أسيوط وقف فى الشارع يعظ وفى يــده أمنية يلوح بها " وفى أسيوط مدرسة للعيال والبنات مجانية ، قرايـــة وكتابة وشغل الإبرة والمطبخ ... الحب الأبوى هو الذى زحزح المعلم سلامة عن تعصبه وأسلم جميلة ولم تبلغ العاشرة][1] ومن هنا بـدأت الأحداث فى التحرك والشخصية فى النمو بخروج جميلة مـــن ســـجن كوم النحل إلى بحبوحة المدرسة وسط زميلات شياطين ، ثـــم يـــأتى النمو والتطور الجسدى للشخصية [ويوم يمر ويوم يـــأتى والفتـــاة

[1] دماء وطين صـــ ٥٢ .

النحيلة القصيرة ، يتمشى سر الحياة فى جسمها ، فينبـــت ثدياهـــا ، وتعرف الخجل وغفى العين وصعوبة النوم][1] . ويأتى نمـــو آخـــر للشخصية وهو إتمام جميلة السنة النهائية ، ويأتى الحدث الرئيســى فى القصة وهو حب جميلة لخليل عند ذهابها لصديقتـــها [هـــو أول شاب تراه جميلة ولما يمضى على اشـــتعال جـــذوة شـــبابها وقـــت طويل][2] .

وتتطور الشخصية مع تطور الأحداث فتســـقط " جميلـــة " ســـقطتها الشنيعة لتصل القصة إلى " الأزمة " أمسك يدها ، ثـــم لمـــس ثديـــها وقبلها ونسيا نفسيهما فى إحدى هذه الفورات واجتبى منها الشـــباب جزيته "[3] .

وتنمو الشخصية وتتطور وتبحث عن وسيلة لمراسلة خليل ، وتنمـــو الجريمة مع نمو الشخصية ، ويأتى خليل وهو غير مستعد للـــزواج ، وتضغط الفتاة على أمها ، وتضغط الأم على الأب ، ولكن الشـــكليات تعوق هذا الزواج وتستنجد الفتاة بالحبيب ولا مجيب ، إلى أن تصـــل

---

(1) دماء وطين صـــ ٥٣ .
(2) دماء وطين صـــ ٥٤ .
(3) دماء وطين صـــ ٥٥ .

إلى النهاية المتوقعة ، معرفة الأب ودق أجراس الكنيسة معلنة وفـــاة أو قتل هذه الشخصية . ومع نمو هذه الشـــخصية ، إلا أننـــا نلاحـــظ النمو المحدود ، بحدود البيئة الصعيدية وحركة الفتاة فى هذه البيئـــة وقد أشار يحيى حقى إلى هذا [بين الأقباط – داخل المنـــازل – قـــدر بسيط من السفور والاختلاط ، هو أكثر الأمر محصور بين الأقربـــاء . قد تتمتع القبطية فى الصعيد بالسفور ، ولكن عدد من يعرفـــها فـــى النهاية قلما يزيد عن الذين يرونها لأول مرة][1] .

-سلبية البطل وإيجابيته :-

تحدثنا عن شخصية البوسطجى ، وشخصية " جميلة " من حيث النمـــو والتطور ، وتحت هذا العنوان " سلبية البطل وإيجابيته " نتحدث عـــن هاتين الشخصيتين .

-شخصية البوسطجى :

شخصية خيرة ، لا يعرف المراوغة ، ولا يعـــرف إلا طريقـــا واحـــدا مستقيما ، لا يحب الالتواء ولذلك فهو يصطـــدم بكثـــير مـــن أنمـــاط المجتمع – العمدة بجهله من ناحية ، وغطرسته من ناحية أخـــرى ،

---

(1) دماء وطين صـــ ٥٤ .

ونظرته المادية الجشعة من ناحية ثالثة ، ومن هنا نشأ صراع بين البوسطجي والعمدة ، فالعمدة يرى أنه [أجرى رحال ، ليس له عشيرة تلمه ، ولا بلد يقره ، ماهيته يدفع مثلها حلوانا للصراف ولا يبالى] ، والبوسطجي [موظف متعاظم ببذلته وطربوشه وسلطة الوظيفة وراءه ، يتكبر على هذا الفلاح الجلف ، مكانه وراء الجاموسة لا بين الناس ... يجب أن ينهزم أمام الحكومة][1] . وهذه النظرة المتعالية من البطل ، وتعاليه على العمدة الذى يحسب نفسه أقوى سلطة وجاها ومالا ، ويدفع للموظفين ، ليحظى بالاحترام والتوقير منهم ، والذى هو فى نظر معاون الإدارة [دا راجل طيب لسه عيل . الواحد يضحك عليه بكلمتين يبقى زى العسل ، يهب يهب وبعدين ينطفى][2] .

أدت إلى غضب العمدة عليه ، ومحاولة الكيد له ، ومحاولة طرده من داره ، ومع ذلك لم تكن قناة البطل ليخضع للعمدة وسلطته ، وأعلنها لشيخ الخفر – رسول العمدة – الذى جاء يسأله متى يخرج من البيت [كل يوم البيت البيت البيت . يكفيه وجع دماغ ، إنه لا ينادى طرشك

---

[1] دماء وطين صـ ٢٢ .

[2] دماء وطين صـ ٢٣ .

ولا يتكلم بالسرياني . هو باق لا يتحرك لوعيد ولا رجاء . إنه ليس بطفل يهزل . وحتى يعتقد العمدة ويريح نفسه ها هو هذه المرة يقسم بالله ثلاثا أنه لن يخرج من الدار ، فما الخروج من الدار إلا محاولة لتضييق الخناق عليه ، إنه البطل يرفض أن يخضع للسلطة الجاهلة الغاشمة في الصعيد متمثلة في العمدة ، وما يشكله من مركز قوى في هذا الكفر ، ولو خضع له ، لأعطاه أكثر من راتبه حلوانا كما يقول ، وكما يعطي للصراف ، ولعاش وسط أهل الكفر ، وليس وحيدا غريبا طريدا ، ولكن البطل يقاوم ، ويرفض أن يلبس الجلباب مثلهم، وأن يخضع لسلطتهم وتقاليدهم .

هذا الموقف الرافض من البطل ، أوقعه في صراعات مع الوحدة والملل والضيق النفسي وقد عارض هذه الصراعات مرة بالإيجاب كما رأينا مع العمدة ، ومرة بالهروب إلى الخمر [... كلهم يعرفونني ، لكن ما شفتش واحد ، بلاش أنكت وياه ، اتكلم معاه . العمدة راجل جلف زي ما انت عارف ، حتى الصراف هنا من طراز زمان ، عجوز وبعمة ، أقرب أفندي لي ناظر المحطة ، ودا عشان أوصلله لازم أركب الحمار تاني وسط العفرة ٣ كيلو . بقيت أخرج من المكتب

للبيت ، ومن البيت للمكتب . كنت ح أجنن أبقى معذور ولا لأ إذا كنت اتعلمت الشرب ؟ كل ما انزل البندر ، أجيب إزازة أو إزازتين كونياك ، كل مصروف إيدى رايح على الخمرة ... وهبطت على عباس رحمة[1] من الكونياك فعتمت له ذهنه ، وأرخت أعصابه وعلمته كيف ينسى عمله وأطواره نسيانا يكاد يكون تاما . يؤدى وظيفته كالمنوم المسوق ، وزاد إهماله ، وعلا التراب كل المتاع][2] .

وإذا كان البطل " البوسطجى " قد وقف موقفا إيجابيا من العمدة ، ومن الكفر ، فقد عجز عن الصمود أمام الوحدة ، وفر هاربا إلى الخمرة ، التى أنسته وحدته وعمله ، وصار يؤدى وظيفته كالمنوم المسوق ، ويفجعنا يحيى حقى بقوله " وعلا التراب كل المتاع " ليدلنا على أن كل شئ قد خمد وضاع . وإذن فقد هرب من ملل العمل بالخمرة .

وقد سقط البطل فى مواجهته لوحدة المعيشة ، والعيش بمفرده ، لم يتحمل الجلوس بمفرده فى هذا المكان الغريب ، راحت يده تمتد إلى الخطابات ، لشغل الوقت فقط ، لا يقصد السرقة ، ولا يقصد التجسس

---

(1) الأفضل التعبير بغشاوة .

(2) دماء وطين صـ ٣٥ ، ٣٧ .

، إن فاته المسامرة مع الأشخاص ، فليتسامر مـــع الخطابـــات ، وإن كان ناظر المحطة يجد متعة فى مراقبة المسافرين والعائدين ، فسيجد البوسطجى متعته فى قراءة الخطابات صادرة وواردة] على أنـــه وإن تخلص من ملل العمل لم يستطع أن يهرب من وحدة المعيشـــة . هى التى وسوست له من جديد وأعادت له التفاتـــه إلـــى وظيفتـــه . ولكنه هذه المرة التفات خطر ، فقد بدأ يأخذ الخطاب بيده ، كأنه يزنه ويطيل إليه النظر ، ثم يضحك . ما هذا العالم المتشابك ؟ ...

سيشجيه أن يرى كيف يضع الله فى كل قلب ما يشغله ... وأخذت يـــد عباس تأكله ، ورغم اجتهاده لم يســـتطع أن يفـــهم البلـــد وعقليتـــه وشهوات أهله ومناحى أفكارهم ، فهل يكون عمله هو المنحـــة التـــى وجهها له الحظ ليوقفه من كوم النحل على أرق دخائلها ؟

وأخيرا – لسوء حظه – طرأ عليه وهو وحده الـــذى رجـــح الحجـــة المريضة . وقذف به إلى الجريمة هذا البلد الكريه سلبه شبابه ، يكـــاد يكون مقبرته ، وهؤلاء الناس المنتشون المصفرو الوجوه ، المرضى العيون ، يضمرون له لأنـــه غريـــب ، ازورارا وانقباضـــا ، كلـــهم يضحكون فى وجهه ، بخبث وتباله ، وهو يفضلهم بتربيته وعقليته ،

ففى العمل الذى سيقدم عليه خير انتقام منهم ، سيطويهم جميعا عليه ، وتضمهم قبضة يده ، وسيقف أمامهم صامتا ، ولكنه سيهزأ منهم فى قرارة نفسه ، وسيكون هو الفائز لا محالة ، سيحتاط للأمر ويربط لسانه ، ويكتم السر فلا يدرى به أحد ، فليس من خطر (... أيدى كانت بترتعش ، خايف وبرضه مقاوح ، لكن رغم دا ما شبعتش من جواب واحد ، بعد ما قفلته فتحت جواب ثانى ...)[1] وهكذا سقط البطل. سقط مع طبيعته الخيرة ، ضعف وأنهار وأخطأ.

وقد بدأ البطل كما رأينا فى البداية إيجابيا يحاول أن يتصدى للقوى الخارجية الممثلة فى العمدة وأهل الكفر ، ثم تحول إلى بطل سلبى يشعر بالعزلة والوحدة ثم الهروب بالخمر ، ثم السقوط فى النهاية فى الجريمة ، وإن كان قد فعل الخطأ دون قصد ، فهو ليس بطلا شريرا ، ولكنه بطل خير ضعيف لا يستطيع المقاومة.

ولعل الذين قسموا البطل الخير إلى : إيجابى يحاول أن يتصدى لما يواجهه من صعوبات ومظالم من أجل تحقيق عاطفة سامية وهدف نبيل ، وقد ينجح أو يفشل ، وقد يكون هذا البطل الإيجابى من النوع

---

(1) مجموعة دماء وطين ص٣٩.

العاجز ، يملك كثيرا من الوعى والفهم ... لكنه يعجز عن اتخاذ خطوات إيجابية[1] ، أقول لعل هؤلاء الذين قالوا بذلك فى حاجة إلى تقسيم جديد بعد رؤية (النموذج : البوسطجى).

فالإنسان بالضرورة ليس خيرا أبدا أو شريرا أبدا ، والبطل الخير ، لا ينقسم إلى إيجابى وسلبى فقط ، ولكن هناك البطل الخير الذى يصفق ويسقط ويقع نتيجة لضعفه فى الخطأ لا عن قصد.

وقد برر يحيى حقى لهذا البطل الخير وقوعه فى الخطأ فقال : (... بيد أن عاطفته جعلته لا يتخلف عن عباس فى قصته يسايره فكرة فكرة ، فاهما دواعيه ، مقدرا أحزانه وهمومه ، ويشاركه الندم ، ويرثى له كيف هوى حظه وخانته يده؟)[2].

ولذلك فالشخصية الإنسانية مزيج من الخير والشر (ولا وجود للشخصية الخيرة كلها ولا للشخصية الشريرة كلها فى واقع الحياة ، لذلك كان تصوير شخصية بيضاء بلا شر فى قصة ،أو شخصية سوداء بلا خير ، عملا يبعد فى الصدق ويزخر بالزيف والإنفعال)[3].

---

(1) المنهل يناير ١٩٩٨م ص٤٦.

(2) مجموعة دماء وطين ص٧٨.

(3) القصة من خلال تجاربى الذاتية ص٨٤.

شخصية جميلة بين السلبية والإيجابية :-

- **شخصية "جميلة" :-**

- وضع المرأة فى الصعيد سيحكم على شخصية جميلة بالسلبية من البداية وسيكون هذاش سمة عامة ، ويجب أن نلاحظ ذلك ، يجب أن نلاحظه فى شخصية أم أحمد ، وهى المرأة المتحركة التى لا تخشى شيئا ، وتحل لكل البنات والسيدات مشاكلهم ، والتى تزوجت أربع مرات ، [وإذا قابلت فتاة كلمتها رأسا ولو كانت تعرفها لأول مرة عن جسمها وثوبها وشعرها وحمامها ، وإن كانت امرأة سألتها عن زوجها وعاداته ونوبات مرضه وهجرانه ، كم من رجال يجهلون أن زوجاتهم تلقين عن أم أحمد نصائح أشبه بالدروس ، فمعظم النساء يعرفنها ، ولكن القليل منهن من تعلم أن أم أحمد قد تمثل فى بعض الأحيان – عندما تكون رايقة – مع التلميذة نصائحها][1] . حتى هذه المرأة مضبوطة ومربوطة فى خارج البيت بتقاليد الصعيد ، ولذلك يصورها يحيى حقى بقوله : [كل الناس يواجهون الشباك . أما هى فجاءت

---

[1] دماء وطين صـ ٦٠ .

ووقفت بجنب منكمشة ، الحياء يقطر منها ، سألها عن حاجتـــها فلم تغير موقفها][1] .

وليست أم أحمد فقط ، ولكنه يصور الفتيات بصورة تكشف عن تـأثير البيئة على الجميع ، لقد رأى البوسطجي أن يعرف من هـــى جميلـــة [لكن ازاى ؟ ازاى أتوصل لحيلة ؟ مـــا يمكنـــش فـــى بلـــد زى دى تشمشم على بنت أو تسأل ... وتسأل مين ؟ دانا غريـــب وعـــازب . وبفرض عرفتها ، أكلمها ازاى ؟ مشيت مش حاسس بنفســـى أبـــص للبنات اللى فايتين . يا ترى ما تكونش دى جميلة ؟ ولا دى ؟ يمكـــن دى ؟ قايست وحاجة خلتنى هجمت على أول واحدة !

-جميلة ؟ .. هربت منى ! والثانية : ما تعرفيـــش جميلـــة ؟ خـــافت وجريت .. ! والثالثة : دورت وشها للحيط ، ووطت شوية شـــوية ح تقعد ع الأرض وح تعيط][2] .

هذه هى صورة المرأة فى الصعيد ، فى بينة القصة ، فى بيئة جميلة ومن هنا فقد نحكم على الشخصية بالإيجابية أو الســـلبية ، لا بـــد أن نضع فى اعتبارنا ظروف البيئة المحيطة الموجودة فيها .

---

(1) دماء وطين صـــ ٤١ .

(2) دماء وطين صـــ ٧٣ .

أول خطوة خطتها فى حياتها وهى الانتقال من القرية إلـــى المدينـــة للتعليم لم تكن بإرادتها ، وإنما أبوها هو الذى أراد وهو الـــذى نفـــذ [أسلم جميلة ، ولم تبلغ العاشرة وقلبه يفيض بالأمل أنها تكون فـــى يوم ما معلمة فى المدرسة][1] .

المرة الوحيدة التى اختارت وبكامل إرادتها ورغبتها ، فى أن تذهـــب لزيارة خالتها فى القرية المجاورة ، وتزور صديقتها ، هـــى أيضـــا المرة الوحيدة التى سقطت فيها .

[كيف يستطيع بعد هذه الفرحة أن يرفض طلبها البسيط ؟ ... أخذهـــا إلى النخيلة لا يعرف أن سبب سفرها ليس شوقها لخالتها ، بل تنفيـــذا لاتفاق سابق بينها وبين إحدى التلميذات من هـــذه البلـــدة ... عـــن طريق مريم تعرفت فى النخيلة بأخيها خليل .. انساقت فى الإعجـــاب بالأخ .][2]

وحتى فى السقوط والخطيئة لم يكن لها إرادة ، ولا حتى دفـــاع عـــن نفسها ، وإنما خليل هو الموجود ، هو الذى شعر بميل نحوهـــا [... وشعر خليل بعد هذه الجلسة بميل معظمه صبيانى نحو جميلـــة ، وزاد

---

(1) دماء وطين صـــ ٥٢ .

(2) دماء وطين صـــ ٥٤ .

تردده على المنزل بتعمد الانفراد بها ، أمسك يدها ، ثم لمس ثديـها ، وقبلها ، ونسيا نفسيهما فى إحدى هذه الفورات واجتبى منها الشـباب جزيته][1] أين جميلة ؟ أين إرادتها ، أين رغبتها أو عدم رغبتـها ؟ لا نلمح لذلك ظلا حتى فى السقوط والخطيئة .

وبعد ذلك لا نلمح جميلة ، وإنما " أخبرتها مريم أمنية أمها أن تـزوج خليل فى أقرب الفرص " ، " ووعدها خليل أن يعود بعد شهر واحـد لكوم النحل ويخطبها من أبيها " ، " ثم هفا به لسـوء حظـه طبعـه الصبيانى وطلبها من جديد " ، " ولما هم أن ينصرف أمسـك خليـل يدها ووضعهما على كتفيه ثم طوق خصرها " ، [وجلس وأجلسـها على ركبتيه ، قبلها على عنقها وعينيها وبين ضفائرها ، ثم توالـت قبلاته حارة هوجاء هنا وهناك][2]

أين جميلة ؟ وأين إرادتها ؟ هل نعتبر الخطابات التى أرسـلتها إليـه جميلة ، إرادة وإيجابية ؟ أشك فى ذلك . فـهى صرخـات خـائف ، واستنجاد غريزى من الخطر ، كما تفعله الدجاجة عندما يمسك بـها أحد ، أو يحدق بها الخطر .

---

(1)دماء وطين صـ ٥٥ .

(2)دماء وطين صـ ٥٩ .

وقد عبرت عن هذا الاستسلام بقولها لخليل " أنا بقيت فـــى إيـــدك .. إعمل فى اللى تعمله " .

دار بخلدى سؤال وأنا أقرأ هذه التعبيرات ، هل كان المؤلـــف يكتـــب عن وعى وهو يرسم هذه الصورة فيجرى كل الأفعال بضمير الفـــرد [جلس وأجلسها ، وقبلها ثم توالت قبلاته ...] ولو قلنا أن الذكر هـــو الذى يعمل هذه الأشياء والأنثى متلقية ، فهل لو قـــال جلـــس خليـــل وجلست جميلة ، يكون قد خالف الإلف والعادة ، ولو افترضنا ذلـــك ، عندما يدخل عليهما إنسان فجأة ، ألا يحتم الإلف والعـــادة أن تكـــون الأنثى هى الفارة الهاربة المذعورة ، إننا نفجع من إصرار المؤلـــف على سلب الفتاة كل إرادة . [... حركة رجل وصوت بـــاب ، قطعـــا عليهما الخلوة ، وقام خليل][1] حتى الفرار والذعر والهرب والخـوف ، حرم المؤلف منهم بطلته ، وسيرها مسلوبة الإرادة إلى النهاية .

نظلم " جميلة " كما ظلمتها التقاليد فـــى القصـــة ، إذا اعتبرنـــا كـــل خطاباتها صرخات يمكن أن تصدر من حيوان وقع فى شـــرك . فمـــا هكذا كل خطاباتها . أو على الأقل ، ما هكذا كل خطاباتها فى البداية .

---

[1] دماء وطين صـــ ٥٨ .

فجميلة فى البداية لم تكن تنطلق من خوفها بقدر ما كانت تنطلق من ثقتها فى خليل ورغبتها فى الزواج ، ففكرت وأوجدت الوسيلة التى يمكن أن تراسله بها . هذا نوع من الإرادة وقفت به ضد التقاليد . وهو ليس بالأمر السهل [لأن مكتب البريد فى السوق ، أمامه دكاكين ، وأناس جالسون أقوياء العيون ، وهى تخشى أن يعرفها أحد ، فيتصل بعلم أبيها خبر ترددها على المكتب وينفضح سرها] (١) وليس تدبير أمر لإرسال الخطابات فقط هو الإرادة أو الفعل الإيجابى الذى صدر من " جميلة " ولكنها راحت تحرك أمها لتقف بجانبها فى الموافقة على " خليل " مهما كانت ظروفه ، وقد نجحت فى ذلك ... [فارقهما الأب وهو فاهم أن المسائلة خطوبة فقط ، لأنه ينتظر أن يكون مع الشاب أمه أو أحد أعمامه . ولكنه عندما أخبر زوجته الخبر سهلت عليه أن يتم الزواج كله مرة واحدة . يجوز أن تكون أم العريس مريضه أو عجوزا لا تتحرك ويتلف أمل البنت . ثم ما الداعى للانتظار ؟ وكانت بعاطفة نصفها محبة ونصفها استبداد ، قد

(١) دماء وطين ص ٦١.

ضمت أمها إلى صفها ، بل كانت تحركها طـوع إرادتـها ... وقبـل بإلحاح زوجته أن يعقد الإكليل] [1] .

ولما أحكمت الحلقة حول جميلة ، بتغيير عنـوان " خليـل " دون أن تعرف ، وموت " أم أحمد " و "كبر الجنيـن " فـى بطنـها ، ومعرفة أبيها ، أرسلت خطابات كثيرة تستنجد بخليـل وفكـرت فـى الهرب ، وحاولته ، (...... لو تستطيع أن تهرب من الدار لنجـت ، ولكن أين السبيل وهى محبوسة . [1] . وكـان آخـر جـواب الـذى تستنجد فيه بخليل " خليل ... الحقنى .

كيف نحكم على شـخصية " جميلـة " بالسـلبية ؟ الأمـور مشتركة بين البيئة وبينها. البيئة هى التى حكمت عليـها أن أباهـا الذى يقرر تعليمها أو عدم تعليمها .

سفرها أو عدم سفرها . وهى التى وقفت مسـلوبة الـرداة أمام خليل واستسلمت له ، والبيئة هى التى فرضت عليها أن الذكـر هو الذى يملى إرادته وشهوته ويأخذ ما يأخذ ، ويقبـل أو يرفـض ،

---

[1] دماء وطين ص ٦٢ .

[1] دماء وطين ص ٧٧.

ربما دون مشاركة منها ، فالمرآة لا يجب أن تبدى رغبتها إن كـــان لها رغبة . وقد كانت جميلة إيجابية فى مواقف عديدة منـــها تغلبـــها على البيئة وتحايلها على إرسال الخطابات إلى خليل ، وإقناعها لأمها أن تقنع أباها بقبول هذا الزوج ، ومحاولتها الهرب.

شخصية الصعيد بين الإيجابية والسلبية :-

" الصعيد " فى القصة شخصية مؤثرة فى الأحداث ، موجهـــة لها ، مسيطرة عليها مؤثرة على " جميلة " ومؤثرة على " البوسطجى " فالصعيد [كما يحسه ويعيشه " عباس " القاهرى . ينساق عبـــاس ربيب المدينة وشوارعها المزدحمة إلى فعلته ، تحت ضغـط الوحـدة والغربة والازورار الذى يلاقيه فى كوم النحل . شهوة غريبة تغريـــه بكشف خفايا هذا البلد المحجب ، تهيئ له الانتقام من جو الصعيـــد " المقبض " فيبدأ فى فتح الخطابات وقراءتها ...) (١)

ومن هنا نلمح تأثير الشخصية " الصعيد " على " البوسطجى"، وغير خاف أيضا تأثيره على " جميلة " ، وواضح جدا تـــأثيره علـــى

---

(١) يحيى حقى وجيل الحنين الحضارى : ناجى نجيب الهيئـــة المصريـــة العامـــة للكتاب سنة ١٩٩٨.

والد " جميلة " فى قتلها ، إن الضغط الاجتماعى هو الذى دفـــع الأب إلى قتل ابنته [.... أنت التى كنـــت أعزهـــا ، ولا أرد لـــها طلبـــا ، تفضحين شيبتى . تضعين ذقنى فى الوحل ، واسمى فى أفواه النـــاس يمضغونها على مهل كالعلك اللذيذ ، على مهل من هنـــا ومـــن هنـــا يتبادلونه كأنه الهدايا ، ويثيرونه عندما يملون الحديث] [1] .

وقد نتصور أن تأثير الصعيد تأثير سلبى على كل من حولـــه ، وهو ليس كذلك ، فقد جاء المؤلف بلوحات مشرقة كان لـــها تـــأثير مشرق فى النفس منها [فى بعض الأحيان يمر بركوبته وســط هـــذه الحقول وتشمله بعطرها فينسى كل همومه وثقالة الصعيـــد ويســـرح ذهنه ، ويشعر أن ما بينه وبين الله قد عمر من جديـــد " [2] . وتـــلك اللوحة الأخرى المشرقة جدا ، والمحلقة فى روعـــة الفـــن ، والتـــى ترفض أن تكون قد جاءت على لسان العمدة فى بلاغة ضـــد عبـــاس البوسطجى " .... فى الجو نسيم مشبع ببرودة يستلذها الوجه ، وفـــى السماء قطع من سحاب عذارى ، رقيقة الحاشية ، زاهية الألـــوان ، ممشطه مترفة ، تسير الهوينى – متداخلة متفارقة – للتنزه والتمطـى

---

[1] مجموعة دماء وطين ص ٦٥.

[2] مجموعة دماء وطين ص ٣٤.

فى الشمس ، فهى شفافة مبتسمة ليست سودا ولا دكنا ، كأخواتها الحبليات بالمطر][1] هذه الصورة الرائعة لسماء الصعيد والتى جاءت على لسان العمدة الجاهل فى بلاغة ، تؤكد لنا التأثير الإيجابية على بقية شخوصه.

- **لوحات قصصية :-**

يشير يحيى حقى إلى اهتمامه بالشخصية فى قصصه فيقول :
تشغلنى الشخصية فى القصة القصيرة ، فأنا أكره الحدث ، أما مدخلى إليها فهو موقف إنسانى يحتاج إلى التأمل ، إلى وصفه ، من خلال الوصف فقط أريد الوصول إلى الأشياء ... لقد خدمت قالباً أعتبره من أهم القوالب الأدبية ، ويجب أن يستحق العناية والاهتمام ، وهو ما أسميه باللوحة القصصية ، بمعنى رسم صورة بالقلم ، لموقف أو لشخصية أو لحدث ، دون ارتباط والتزام بقواعد القصة القصيرة [2]

وكلام يحيى حقى هذا يفسر علامات الاستفهام الكثيرة التى وضعتها وأنا أقرأ قصة البوسطجى أمام أحاديث كثيرة ، يترك فيها

---
(1) مجموعة دماء وطين ص ٢٧.
(2) مجلة فصول : المجلد الثانى

يحيى حق عملية القص ، بل ويترك جو القصة ، يوقف كـــل شــىء ليرسم لوحة أعجبته ، وهو وإن كان يعترف أنه بذلك لا يلتزم بقواعد القصة القصيرة ، ولكنه ينوه إلى أن هذا القـــالب يســـتحق العنايـــة والاهتمام . هذا القالب هو اللوحة القصية " [ولعل مجموعته " عنـــتر وجوليت " هى أنصع دليل عل هذا الصراع ، فقد قسمها قسمين :-

القسم الأول : تسع قصص ، القسم الثانى إحدى عشرة لوحـــة كما سماها .

وهو يصف هذه اللوحات بأنها شىء متردد بين الانتساب مـــن قريب إلى المقال ، والانتساب من بعيد إلى القصة ، فليـــس غرضـــه الأول هو عرض آراء ، بل وصف الحياة وطبائع البشر] [٥] فيحيـــى حقى يعترف بوجود هذه اللوحات القصصية ، التى تقترب من المقـــال ، وتنتسب إلى القصة ، وهى ما جعل النقاد يطلقون عليـــها مقالـــة ، واعتبر يحيى حقى مازجا بين القصة والمقالة [أما اللوحات ، التـــى

---

[١] مجلة فصول : المجلد الثانى

[٥] مع القصة القصيرة : يوسف الشارونى ص ٢٣.

تجمع بين القصة والمقالة ، والتى ظلت فنا محببا لدى الكـــاتب فقـــد ظهرت أيضا بذورها فى مرحلة النشأة] [1] .

اهتمامه بهذه اللوحات جعلها تبدو كأبطال ، **يقـــف أمامــــهم** ، ويرسم ملامحهم ، **ويهتم بالجزئيات الدقيقة** ، وربما كان ذلك لا صلـــة له بالقصة .

من هذه اللوحات فى " البوسطجى ":-

يحيى حقى يصور البوسطجى ، ونفسه توســـوس لـــه فتـــح الخطابات ، ومع ذلك أوقف عملية القص ، وكتب مقـــالا ، أو لوحـــه قصصية كما يسميها عن الخطابات ، وذلك عندما يقول : [بدأ يـــأخذ الخطاب بيده – كأنه يزنه – ويطيل إليه النظر . ثم يضحك . ما هـــذا العالم المتشابك ؟ حتى إلى أصغر القرى تصل هذا السلوك من الـــورق ، تربط الناس بعضهم ببعض مالا يربطه الحديد. ليس يفهم ما بيـــن الناس من تماسك إلا من يدخل مكاتب البريد . هذه الجمـــاهير التـــى ترى حرة فى الشوارع ، فى إثرها رسائل تلاحقها وتأخذ بتلابيبـــها ، تصدمها وربما عرقلتها وكفأتها أو غيرت مجرى حياتها إلـــى مـــا لا

---

[1] يحيى حقى مبدعا وناقدا : مصطفى إبراهيم حسين ص ١٧.

تظنه ولا يخطر لها على بال . قد تكون استجداء أو تهديدا ، شكوى أو تحكما ، بعضها قسوة وبعضها استرحام . قد تكون محبة أو عداء. مكتوبة بالعطر أو بالدم. قد تكون كلها أرقاما ما تمثل خراب البيوت ، وقد تظفر وحدها دون غيرها بدليل على خيانة زوجة طاهرة ، أو اعتراف بجريمة . وقد تكون بعد ذلك تافهة غثة ، تمثل ما فى الحياة من رغاء كهدير الإبل ، ولكنها – رغم ذلك – لها قيمتها لأنها مغلقة ، مجهولة ، مطوية ، فلا يختلف جواب عن جواب، كلاهما سر محجب ، لو لان الصمغ لا تكشف عن أمر عجيب . وحتى لو لم يظفر المقتحم بشىء فإنه سيقع على أمثلة من طبائع الناس وأهوائهم ، سيشجيه أن يرى كيف يضع الله فى كل قلب ما يشغله ، لا يتشابه قلب وقلب ، كلها مادة روحها مصونة ، لا يفسدها الجهر ، فالطبيعة فيها على حالها ، لا مواربة ولا خداع ، وربما لا تحوى الحياة متعة تقارب لذة تتبع رسائل عقل حساس أيا كان عصره أو طبقته (١) .

(١) دماء وطين ص ٣٨.

هذه لوحة قصصية أو مقالة عن الرسـائل ، لا صلـه لـها بالقصة ، إلا أنها حوار دار عن الرسائل وقيمتها وأهميتها ، دار فـى ذهن " عباس " البوسطجى .

وفى مكان آخر يرسم المؤلف صورة الصعيد القاتمة كما رأها عباس لأول مرة وانقبض صدره منها ومع ذلك يلتفت بعين حسـنى " معاون الإدارة " ليرسم لوحة أخرى ، تستطيع أن تقول إنـها لوحـة تجميعية ، أو تركيبية ، جمع شتاتها الشاعر ، وركب الأجـزاء مـن مناطق مختلفة لتبدو بهذه الصورة ، يقول [على أن عينه لمحت مـن فوق أكوام الوقود خضرة ممتدة لا يرى فيها شيئاً . وهو حقل فول لم تظهر قرونه بعد . أزهاره فى مقتبـل عمرهـا ، بعضـها أبيـض ، وبعضها ضارب للحمرة ، كلها تهتز فى حركة خفيفة ، لا يسـتطيع أن يحس بها من رؤية القرون مهما كثرت ، بل لابد أن ترتمى نظرتـه ، وتشمل الحقل على امتداده .

الحركة تجول فيه ، مختلفة النمط هنا عما هنـــاك . ولكنـــها رغم هذا الاختلاف شخصية واحدة لها سحر. العيدان كلها فـــى هـــزة المرتلين تشترك فى أنشودة خافته معسولة] [١] .

وإذا كانت هذه لوحة للطبيعة ، فقـــد رســـم لوحـــات أخـــرى نستطيع أن ندرجها فى القضايا الاجتماعية ، فهو حين يتحـــدث عـــن الصعيد وأثره على الموظفين يروح يرسم لوحة قصصية اجتماعيـــة فيقول :[ليس عباس أول شاب يعرفه يأتى مـــن القـــاهرة لـــيرتكب جرمه فى الصعيد ، كثيرون جاءوا غيره أصحـــاء النفـــوس ، علـــى وجوههم جمال الرضا والاتزان ، فى حركاتـــهم وملبســـهم تـــأنق ، فأصبحوا بعد زمن غلاظ الوجوه ، سمان البطون ، ثقيلة حركاتـــهم ، نظرتهم حيوانية وكلامهم بـــذاءة متكـــررة ، وفكاهتـــهم منحطـــة ، أفكارهم سخيفة محصورة ضيقة – حين يعـــودون لمدنـــهم ينكرهـــم أصدقاؤهم وتختلف أذواقهم حتى كأنهم شعبان مختلفان .

الصعيد هو المسئول عن تلفهم . فهم طيبو القلوب ، ولكنـــهم من ضيق التربية بحيث لا يستطيعون السمو عن المحيط النافر لـــهم

---

[١] دماء وطين ص ٣٤.

أو إخضاع ظروفه لمنفعتهم ، واستخلاص ما فيه من خير ، والإعراض عن شره ، فهم لا ينتقمون من جو الصعيد المقبض ووحدته القاتلة إلا فى أنفسهم ، يسهلون لها المنزلف ، ويتردون فى عناد وتكبر إلى الهاوية ، يبدأ أحدهما بكأس مع أصدقائه ، وينتهى بسكير مدمن ، الخمر أهم خزين بيته ... ويلعب آخر للتسلى ، فيصبح مقامرا يسهر للصبح ، ويوقف حياته على تشمم أخبار " البرتيتات " ثم من وراء ذلك من ينساق إلى اختلاس هين ، أو سرقة تعد بالقروش ، منهم من ينجو ، ومنهم من ينتهى إلى السجن] [١] .

هذا مقال اجتماعى يصور حال الموظفين فى الصعيد ومآلهم وما يصيرون إليه .

وقد عيبت مؤلفات المنفلوطى القصصية لهذا السبب ، ويقول الناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتى [فماذا علينا لو نظرنا إليها باعتبارها مقالات قصصية ..... فلو كان المؤلف أو ناقدوا المنفلوطى نظروا إلى أدبه القصصى هذه النظرة فى أن قصصه أشبه بالمقالات القصصية لما تورطوا فى كثير من نقداتهم ، ولأدركوا أن هذا اللون

---

[١] دماء وطين ص ٤٠.

الذى طرقه المنفلوطى جدير بالاحترام ، وأن بعض الكتاب من كتاب الغرب مثل الفونس دوديه فى " خطابات حول طاحونتى " لم يكتب قصصاً بل مقالات قصصية] [1] .

وقد أشار يحيى حقى إلى أنه قرأ مؤلفات المنفلوطى وتأثر به[2] .

على أنه إذا جاز لنا أن نطلق على بعض هذه الصور مقالات اجتماعية أو مقالات من نوع آخر ، فإنه هناك لوحات ، لا يمكن أن نطلق عليها مقالا ، وإنما هى لوحة قصصية . هى نموذج قصصى ، ولكنه لا يخدم القصة فى شىء ، هى لوحة جميلة رائعة ، افتن المؤلف فى رسمها وأبدع فى رسم خطوطها ، لكن مكانها ليس هنا فى القصة ، ومن ذلك تلك اللوحة التى رسمها لأم أحمد تلك التى كانت رسول جميلة " إلى مكتب البريد ، تحمل خطاباتها إلى البريد ، وتحمل خطابات خليل من البريد إلى جميلة . وقد صور يحيى حقى هذا النموذج أروع تمثيل وفى كل قرية مثل تلك المرآة ، التى نجدها فى كل مناسبة ، هى لازمة من لوازم المناسبات [هى امرأة تزوجت أربع مرات ، فارقها كل زوج بطلاق بعد عشرة قصيرة ، وتسنى لها

---

(1) دراسات نقدية فى الأدب المعاصر ص ٧٩.

(2) مجلة الثقافة يناير ١٩٧٥ ص ١٠.ز

بفضل هذه المجموعة أن تشترى بما جمعته من متـــأخر المـــهور [١] فداناً ونصف جاموسة ، هى ماشطة "بلانة" فـــى الأفــراح ، حاويـــة بالغناء عند طلوع الحجاج والمقدسين أو رجوعهم ، داية إن اســتغاث لها جار قريب ، تعرف وصفات وتفسر الأحلام ، وتحســـب النجــم ، تفوح منها دائماً رائحة الماورد ، كل مناسبة اجتماعية تكون فيـــها أم أحمد بلا دعوة ... [٢] هذه لوحة رائعة ، أو نموذج بشـــرى موجــود فى الريف والصعيد ، صوره يحيى حقى وجسده فـــى أتـــم صـــورة ، ولكن ما علاقته بالقصة ، ليس له صلة بالقصة ، فيكفى أن جميلـــة ، تعرف تلك المرأة العجوز وتأنس لها وتبوح لها بسرها . هل تسـتطيع أن تقول عن هذه اللوحة : هى مقال ؟ لا يمكن ذلك . لا يمكـــن إى أن تكون لوحه قصصية من تلك اللوحات القصصية التى أبدع فيها يحيـــى حقى ، وعرضها لنا فى القصة ، دو أى مبرر فنى سوى أنـــه لوحـــة جميلة.

---

(١) الإرث من متأخر المهور ، معلومات درسها مؤلف القصة فى الحقوق ، ولكـــن على أرض الواقع ليس هناك مؤخر مهر مع الطلاق ، بل إن المرأة تفتدى نفســـها ما أمكن ، وإذا تصورنا حدوث ذلك فى المدينة فن يجد فى الصعيد والريف هـــذا الأمر ، وكان الأجدى أن يجعل هذا الإرث من موت الأزواج . كما فعل شـــوقى في مسرحيته " الست هدى ".

(٢) دماء وطين ص ٥٩.

– التصوير الواقعى للمكان والشخوص:-

لقد عانى يحيى حقى من هذا التصوير الواقعى ، وطوّر من أسلوبه ، واستفاد من تجاربه وهو يصور ذلك عندما يقول (وكانت قهوة ديمترى هى أول قصة نشرتها فى جريدة السياسة وقد خرجت منها بدرس انتفعت به طوال حياتى قهوة حقيقية موجودة فى مدينة " المحمودية " وسجلت فيها الواقع كما هو ، وصورت العمدة بطربوشه المائل كما رأيته تماماً ... مجرد تصوير برىء لم أقصد من ورائه شيئاً ... فإذا بالعمدة يغضب علىّ غضباً شديداً ، ويظننى أهزأ به . حرصت فيما بعد على أن أتجنب مثل هذه المطابقة ، بعد أن فهمت أن الأدب الواقعى ليس هو التصوير الفعلى ، وأصبحت الشخصيات التى أرسمها ليست منقولة عن فرد واحد ، بل عن مجموعة من الأفراد] [1] .

ومع اعترافه بهذا ، ومع حرصه على أن يتجنب هذه المطابقة بعد ذلك ، فقد كان التصوير الحرفى للمكان والزمان بارزاً فى قصة البوسطجى وغيرها.

---

[1] مجلة الثقافة : يناير سنة ١٩٧٥.

وقد شجب د سيد حامد النساج هذا التصويـــر الموغـــل فـــى الواقعية بالنسبة للزمان والمكان ، دون أن يكون لها صلة بالحدث أو بالفكرة [١] ... وهو مما يجعل الإيغال فى الواقعيـــة ، دون فـــائدة أو صلة بالحدث والفكرة شيئاً مؤلماً.

نماذج لتصوير المكان:-

هو يريد أن يحدثنا عن " كوم النحل " القرية الصغيرة التـــى وقفت فيها الأحداث ، وتحركت فيها الشخصيات . لا مانع من هـــذا ، لكن الحديث يجب أن يضيف جديداً للشخصيات ، يفســـر سـلوكها ، يبرر انحرافها ، يهيئ لأحداثها ، وإلا فلا داعى أبداً للاســتطراد فـــى رسمها ، إذا كانت مثل غيرها من البلاد فى ذلك التأثير . ومن ذلـــك فهو يتناول بالحديث " كوم النحل " فإذا هى قرية ككل القرى المصرية ، ليس فيها من هذا الوصف خدمة للقصة أو صلة بالأحداث.

[كوم النحل من أعمال مركز ... بأسيوط ، ليس فيـــها أحـــد يستطيع أن يجيب : هل النحل هو الذى خلق البلـــدة ؟ أم هـــى التـــى خلقت لنفسها هذه التسمية ؟ كل ما يظفر به الباحث سطر ونصف فى

---

[١] تطور فن القصة القصيرة فى مصر : سيد حامد النساج ص ٢٨٤.

خطط على مبارك (مشهورة بجودة عسلها بينها وبين المركز ... خمسة عشر كيلو متراً) لم يقرظها باسم أسرة واحدة مشهورة. ولكن الظواهر تدل على أنها بلدة قديمة . قد يرجع سبب إهمالها إلى أن آثارها لم تكتشف بعد ، فهى لم تتأثر بالطوفان العربى ، وتكاد تنفرد عن بقية بلاد المركز بأن اسمها ليس مسبوقاً " بينى " أو ينم عن اسم قبيلة . هى واقعة على الجسر الطوالى ، بعدها عن الجبل نفور ظاهر عن حياة البدو ، وارتفاعها عن وسط الحوض ترفع عن الزراعة .

والأغلب أنها ظلت طول عمرها فى تجارات تعيش زمناً ثم تختفى ، فلما وقعت على النحل – ولا يعلم متى – لم تستطع أن تتملص من قبضته ... ومال بعد ذلك بخت مصر ، وذوت صناعاتها ، وجاء يوم تفرق النحل فيه من خلاياه إلى الثقوب وفجوات الشجر ، ثم بلعه الكون وغاب . ولم يبق من هذا التاريخ سوى الاسم ، ويبقى خليات من الطين على أسطح قليلة ، يرزق منها ومعاشها متوقف عليها بيوت قبطية تربى النحل وراثة ، لا اختياراً ، عن تلقين لا عن سعى ، تجارتهم محاطة بسرهم ككهنة دين هدمت محاربيه فى نظر

بقية السكان الذين غمرتهم الزراعة فى ذلـــها واســـتعبادها – علـــى اتساعها وكثرة سكانها – سوى الأقل من عشر زمامـــــها ، والبـــاقى وقف لسلالة من الشركسى لها قصر خرب فى البندر] (١) .

وتسأل نفسك بعد قراءة كل هذا التاريخ للبلـــدة ، وموقعـــها وجذورها التاريخية ، وما حدث لها ، ما صلة هـــذا بالقصـــة ، مـــا علاقته بالشخوص ؛ ما تأثيره على الأحداث فلا تجد لذلـــك جوابـــاً . وقد تلمح فى بداية التعريف بالبلدة قوله [ليس فيها أحد يســـتطيع أن يجيب : هل النحل ... ؛ وقد يخطر ببالنا مـــن الســـؤال والجـــواب ، وبداية الحديث بقوله : كوم النحل من أعمال مركز ... ، أننـــا أمـــام محقق ، يضع كل شيء فى مكانه فى البداية معرفا به حتى وإن لـــم يكن له صله بالقصة ، كأنه يريد أن يسأل : اسمكِ وسنكِ وعنوانك.

فهل هذه الخاطرة ، والربط بينها وبين ذكر البلاد وتحديدهـــا بهذه الدقة ، تستطيع أن تقف مبرراً ، أو على الأقل مفسراً لما نحـــن فيه؟

---

(١) دماء وطين ص٥١.

الخاتمـــة

تناولنا فى هذه البحث مجموعة مهمة من أعمال يحيى حقـــى وهى مجموعة " دماء وطين " وأوضحنا أهميـــة هـــذه المجموعـــة ، وقيمتها الأدبية ، وقد اشتهر يحيى حقـــى بــــ " قنديـــل أم هاشـــم " وجاءت قصة البوسطجى باعتبارها أفضـــل قصـــة فنيـــة فـــى هـــذه المجموعة ؛ غنية بشخصياتها وحوادثها ، وقد استخدم المؤلف فيـــها لأول مرة ما يطلق عليه (الفلاش باك) أو استرجاع الأحداث ، ووقفنـــا عند الشخصيات فى البوسطجى ، تطبيقاً لمفهوم البطـــل مـــن حيـــث المساحة فى بنية القصة ومن حيـــث الســـلبية والإيجابيـــة فتناولنـــا شخصية البوسطجى ، والصعيد وأم أحمد وجميلة وخليل وغير ذلك.

وقد أولع يحيى حقى بالوصف الحسى لشخوصه ، والأمـــاكن التى وقعت فيها الحوادث فقد جسد شخصية الصعيد ، وأبرز دورهـــا وأثرها على بقية الشخوص. وجسد التقاليد فى الصعيد كقوة ضاغطـــة ومؤثرة حولت الأحداث ومسارها إلى نهاية حتمية.

وفى قصة البوسطجى قصتان ، قصة داخل قصة ، قصة عباس يأتى من المدينة إلى الصعيد فيسقط ، وقصة جميلة تخرج من القرية إلى المدينة لتسقط جميلة.

ومن خلال تناول الشخصيات من منظور المساحة فى بنية النص ، تبين لنا أن المؤلف قد عنى بشخصيات كثيرة ، حتى أننا لنسأل أنفسنا من هو بطل القصة؟ هل هو البوسطجى وقد عنى به وببيئته ، وظروفه النفسية ، وانتقاله إلى الصعيد ، ومعاناته الغربة والوحدة ، حتى أدت كل هذه العوامل إلى سقوطه؟ ، هل هى قصة جميلة التى خرجت من قريتها واحتكت بالمدينة وأدت الظروف إلى سقوطها؟ هل هى التقاليد والخلافات المذهبية والعادات التى تتحكم فى الناس وتعرقل حياتهم وتؤدى بهم إلى الموت؟. كل هذه الشخصيات قد عنى المؤلف برسمها وتطورها كما أثبت البحث.

تناول البحث شخصية "جميلة" وأثبت البحث أنها شخصية نامية ومتطورة ، وإن كان نموا وتطورا مرهونا بوضع المرأة فى الصعيد ، ومدى المساحة التى تعطيها البيئة والعادات والتقاليد للمرأة

لتتحرك فيها. ومن هنا توصل البحث إلى أن الشخصية مرتهنة في نموها وحركتها ببيئتها ، وكذلك في سلبيتها وإيجابيتها.

- تناول البحث شخصية البطل وإيجابياته ، ورد على القائلين بوجود بطل إيجابي وبطل سلبي ، وانقسام البطل إلى بطل لا يبالي ، وبطل مقهور. فالشخصية الإنسانية فيها كل هذه الأقسام ، فيها الخير والشر ، والقوة والضعف ، والمقاومة والسقوط. وقد مرت شخصية "البوسطجي" بهذه الأطوار ، فهي شخصية إيجابية في البداية ، مناهضة لجهل العمدة وتسلطه ، وهي شخصية هاربة من الغربة والملالة والرتابة في العمل ، هاربة في الخمر ، وهي شخصية متهاوية ، ساقطة من خلال تورطها دون أن تقصد أو تدري في جريمة قتل هذه الفتاة.

لاحظ البحث اعتناء المؤلف بشخصيات أو أمكنة ، والاهتمام بها دون أن يكون هذا الاهتمام مرشحا للأحداث أو مهيئا لها أو مؤثرا فيها. وهو ما التفت إليه يحيى حقي نفسه وسماها باللوحة القصصية ، وسماها آخرون مقالا قصصيا. وقد تناول الباحث شوائح من هذه اللوحات ، وأثبت أن منها ما يصلح لأن يكون مقالا ، ومنها

ما لا يمكن أن يسمى بالمقال ، وإنما يجوز أن نطلـــق عليـــه لوحـــة قصصية.

تناول الباحث إفراط يحيى حقى فى الواقعية بالنسبة للمكـــان والزمان وهو مما شجبه ورفضه بعض الباحثين ، وقد اعترف يحيـــى حقى بإفراطه فى الواقعية فى بداية حياته الفنية وخاصة فى " قـــهوة ديمترى" وأنه حاول أن يحدّ من هذا الإفراط.

وأرجع البحث إصرار المؤلف على التحديد الدقيق للمكـــان ، بشخصيته القانونية أو القضائية وقد اعترف هـــو بتـــأثير الدراســـة القانونية عليه ، واختيار الجريمة والبحث عن أسبابها فى قصصه.

وأخيراً فهى محاولة لإعطاء قصة "البوسطجى" حقها بعـــد أن اشتهر يحيى حقى بـــ "قنديل أم هاشم" وكان يضجر من هذا.

والحمد لله رب العالمين

المراجـــع

١ – اتجاهات القصة المصرية القصيدة د. سيد حامد النســـاج دار المعارف

٢ – أصول الأنواع الأدبية د. محمد أحمد العـــزب دار والـــى الإسلامية سنة ١٩٩٦م

٣– البطل المعاصر فى الرواية المصرية د. أحمـــد إبراهيـــم الهوارى دار المعارف ط٣ سنة ١٩٨٦.

٤– تطور فن القصة القصيرة فى مصر د. سيد حامد النســاج دار الكاتب العربى سنة ١٩٨٦م.

٥– خليها على الله يحيى حقى المؤسســـة العامـــة للتـــأليف والطباعة والنشر ط٢

٦– دراسات فى القصة العربية الحديثـــة د. محمـــد زغلـــول سلام مطبعة الكاتب المصرى.

٧– دراسات نقدية فى الأدب المعاصر مصطفـــى الســـحرتى الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٩م

٨- دماء وطين يحيى حقى الهيئة المصرية العامـــة للكتـــاب سنة ١٩٧٩م.

٩- الرواية السياسية د. طه وادى طبعة دار النشر للجامعات القاهرة سنة ١٩٩٦م.

١٠- سبعون شمعة فى حياة يحيـــى حقـــى إعـــداد يوســـف الشارونى الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٥م.

١١- فن القصة د. محمد يوسف نجم مطبعة محرم بـــيروت ط٢ سنة ١٩٥٩م.

١٢- الفن القصصى بين جيلى طه حسين ونجيب محفـوظ د. يوسف نوفل الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٨م.

١٣- القصة من خلال تجاربى الذاتية عبـــد الحميـــد جـــودة السحار مكتبة مصر.

١٤- القصة والرواية د. عزيزه مريدن دار الفكر.

١٥- لقاء بين جيلين محمد عبد الحليم عبد الله مكتبة مصـــر – الفجالة.

١٦- مع القصة القصيرة يوسف الشارونى الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٥م.

١٧- يحيى حقى وجيل الحنين الحضارى ناجى نجيب الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٨م.

١٨- يحيى حقى مبدعاً وناقداً مصطفى غبراهيم حسين المجلس العلى لرعاية الفنون والآداب.

الدوريات

الثقافة يناير سنة ١٩٧٥م.

السياسة ١٩٢٦/١٢/١٠ إلى ١٩٢٨/١٠/١٠م.

السياسة الأسبوعية ١٩٢٤/٦/١٦م.

الشهر سبتمبر سنة ١٩٦٠م

المجلة مايو سنة ١٩٣١م.

المنهل رمضان سنة ١٤١٨هـ.

فصول المجلد الثانى العدد الرابع يوليو – أغسطس – سبتمبر سنة ١٩٨٢م.

الفهـــرس

رقم الإيداع بدار الكتب
٩٩/٧٣٢٧
فى ١٩٩٩/٤/٢٦م
الترقيم الدولى
٩٧٧-١٩-٨٧٧٠-٤